

سلسلة دراسات في الفلسفة المعاصرة

(٤)

فلسفة العقل

عند

دونالد داقدسن

دكتور بهاء درويش

كلية الآداب - جامعة النجف

الناشر دار الفيل

جلال حزي وشركاه

الناشر: منشأة المعارف، جلال حزى وشركة

٤٤ شارع سعد زغلول - محطة الرمل - الاسكندرية - ت/ف: ٤٨٧٣٣٠٣ - ٤٨٥٣٠٥٥ الاسكندرية

٣٢ شارع دكتور مصطفى مشرفة - سوتير - الاسكندرية ت: ٤٨٤٣٦٦٢ - ٤٨٥٤٣٣٨ الاسكندرية

الادارة: ٢٤ شارع ابراهيم سيد احمد - محرم بك - الاسكندرية ت: ٣٩٢٢١٦٤ الاسكندرية

Email: monchaa@maktoob.com

حقوق التأليف: جميع حقوق النشر والتأليف والطبع محفوظة، ولا يجوز إعادة طبع واستخدام كل أو أى

جزء من هذا الكتاب الا وفقا للأصول العلمية المتعارف عليها

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق:

اسم الكتاب : فلسفة العقل عند دُونالد دالسن

اسم المؤلف : د. بهاء درويش

رقم الإيداع : ٢٠٠٢/٩٧١٤

الترقيم الدولى : 977-03-1086-3

التجهيزات الفنية:

كتابة كمبيوتر : مكتب سروات للكمبيوتر

طباعة - شركة الجلال للطباعة

فلسفة العقل عند دونالد داقدسن

د. بهاء درويش
كلية الآداب - جامعة المنيا

٢٠٠٢


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
المكتبة الإسكندرية

الناشر
منشأة المعارف


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
المكتبة الإسكندرية
كتاب عربي
(تأليف)

رقم التسجيل ٧٧٤٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

«ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ»

صدق الله العظيم

تحديد مشكلة البحث :

مع تقدم علم الطبيعة والنجاح المطرد الذى حققه فى تقديم تفسير فيزيقى للظواهر الطبيعية⁽¹⁾ ذهب كثير من الفلاسفة فى القرن العشرين إلى إعتبار نظرياته صاحبة الكلمة فيما يتعلق بتقديم وصف للوجود وإعتباره مثلاً يحتذى بالنسبة لسائر العلوم من حيث قدرته على تقديم قوانين دقيقة يمكنه على أساسها تفسير بل والتنبؤ بظواهره الخاصة .

إنعكس ذلك بالضرورة على تصور بعض الفلاسفة للحياة النفسية والعقلية للإنسان، وهو ما عنى بالنسبة لهم إما محاولة بيان إمكانية رد علم النفس - ذلك الملوّط به دراسة الحياة النفسية والعقلية للإنسان - إلى علم الفيزياء أسوة بمحاولة رد العلوم الطبيعية الأخرى - كالكيمياء - إلى علم الفيزياء*، أى بيان رد ما هو عقلى إلى ما هو فيزيقى، أو بيان الطابع العلمى لعلم النفس كعلم مستقل وهو ما يعنى التوصل إلى قوانين بإمكانها أن تفسر بل وتتنبأ بالظواهر النفسية والعقلية أسوة بعلم الفيزياء ببيان أن هذه الظواهر فى ذاتها ظواهر فسيولوجية، أى فيزيقية الطابع .

تمثل النظرية السلوكية المحاولة الأولى بينما تمثل النظرية الذاتية المحاولة الثانية . النظرية السلوكية فى إطارها العام - رغم اختلاف أشكالها - هى القول أن الظواهر العقلية والخبرات

(1) إرنست ماير " هذا هو علم البيولوجيا . دراسة فى ماهية الحياة والأحياء " ترجمة د. عفيفى محمود عفيفى سلسلة عالم المعرفة . يناير 2002 . ص 19 .
* فى محاولة رد الكيمياء إلى الفيزياء . انظر «الحياة بأسرها حلول لمشاكل» لكارل بوير . ترجمة بهاء درويش، منشأة المعارف، 1998 ص 67 وما بعدها .

والإحساسات ليست سوى سلوك، والسلوك إما سلوك ظاهري - كالقول أو الفعل - أو تغيرات عصبية تصيب المخ⁽¹⁾. والنظرية السلوكية في ردها الآلام والإحساسات مثلاً - من حيث أنها حالات خاصة لا يمكن سوى لصاحبها التحقق بطريقة مباشرة من وجودها - إلى سلوك، فإنها تحاول تفسير الحالات النفسية والعقلية للأخرين بطريقة تجعل من الممكن التحقق من وجود هذه الحالات من حيث أن السلوك ذو طبيعة فيزيقية ويمكن لغير صاحبه أن يلاحظه ومن ثم أن يتحقق من وجوده⁽²⁾.

أما النظرية الذاتية فقد رأت أن المسألة لا تكمن في إمكانية الرد، إذ الإحساسات والسلوك جميعها ظواهر فسيولوجية - أي ذات طبيعة واحدة، ومن ثم فإنها رغم اختلافها النوعي إلا أنها ظواهر فيزيقية ومن ثم فإنها جميعاً تخضع لقوانين فيزيقية ويمكن التعبير عنها تعبيراً فيزيقياً⁽³⁾.

وإذا كان الطابع العلمي يظهر هنا في محاولة الوصول إلى هذه القوانين الفيزيقية التي تفسر الظواهر العقلية للإنسان، فإن النظرية الثالثة - والتي تدعم القول أن لعلم النفس طابعاً علمياً مثله في ذلك مثل علم الفيزياء - هي النظرية التي تبناها كارل هيمل والتى تذهب إلى أن للأفعال الإنسانية التي نقوم بها أسباباً هي علل هذه

(1) محمود زيدان "في النفس والجسد. بحث في الفلسفة المعاصرة". دار الجامعات المصرية. ص 57.

(2) Chappell. V.C. (ed.) "The Philosophy of Mind" Dover Publications. Inc. New York. 1st published. 1998 p.9.

(3) Ibid. p. 20.

لأفعال . حيث العلاقة بين الأفعال وأسبابها علاقة تبررها مبادئ عامة تأخذ شكل القوانين .

فيل الفيلسوف الأمريكي دونالد دافدسن (١٩١٧ -) -
والدى يعمل حالياً أستاذاً للفلسفة بجامعة كاليفورنيا - وفي إطار
محاولته تقديم نظرية يفسر بها الحياة العقلية للإنسان - نقطة
البداية في كل نظرية من هذه النظريات الثلاث رافضاً لنتائجها
جميعاً رأى دافدسن أن الحياة العقلية ذات طابع فيزيقي (قبول
نقطة بداية النظرية السلوكية) فالحوادث العقلية - موضوع علم
النفس - حوادث فيزيقية دون أن يعنى ذلك إمكانية رد علم النفس
إلى علم الفيزياء (رفض النتيجة) ، والحوادث العقلية تجمعها هوية
بالحوادث الفيزيقية (قبول نقطة بداية النظرية الذاتية) إلا أنه لا
وجود لقوانين سيكوفيزيقية أو لقوانين نفسية يمكنها تفسير والتنبؤ
بالظواهر النفسية (رفض نتيجة النظرية الذاتية) . للأفعال الإنسانية
دائماً أسباب هي علل هذه الأفعال (نقطة بداية كارل هيملبل) إلا
أن هذا لا يعنى أن التفسير الذى يقدمه علم النفس له طابع القوانين
بالمعنى ذاته الذى تعد به قوانين علم الفيزياء قوانين (رفض
النتيجة) .

إن المهمة التى يحاول الباحث أن يضطلع بها هي بيان
إلى أى مدى استطاع دونالد دافدسن أن يجمع هذا الذى
يعد - مجموعة من التناقضات - فى إطار واحد. كيف
يمكن بيان أن الحوادث العقلية حوادث فيزيقية دون أن
تكون هناك قوانين من أى نوع تحكم هذه الحوادث؟ وما

السبب فى ذلك ؟ ولم رأى دافدسن أن الحوادث الفيزيائية فى مجال العلوم الفيزيائية تخضع لقوانين يمكن الكشف عنها، بينما تستقل الحوادث العقلية - موضوع علم النفس - عن الخضوع لأى قوانين؟ ويأى معنى رأى أن علم النفس ليس علماً بالمعنى الذى يكون به علم الفيزياء علماً؟.

للإجابة على هذه التساؤلات - وتساؤلات أخرى ستعنى لنا أثناء البحث - سيحاول الباحث أن يقدم عرضاً موجزاً للنظريات السلوكية والذاتية ونظرية كارل هيمبل، تلك التى مثلت نقطة البداية التى إنطلق منها دافدسن، ثم عرض تصوره المفصل للحياة العقلية للإنسان، ذلك التصور الذى أدى به إلى عدم قبول نتائج النظريات الثلاث، على أن نتهى بحثنا بالنتائج التى نكون قد توصلنا إليها.

النظرية السلوكية

النظرية السلوكية - أو النزعة السلوكية - فى شتى صورها هى القول أن الظواهر العقلية فى الإنسان والخبرات والإحساسات ليست سوى سلوك، والسلوك إما سلوك ظاهرى - كالقول أو الفعل - أو تغيرات فسيولوجية داخل الإنسان.

لقد بدأت النزعة السلوكية فى علم النفس على يد جون واطسن (1878 - 1958) كمنهج وكنظرية أنطولوجية. فهى كمنهج تنادى بقصر الإهتمام - فى تناول الظواهر النفسية - على مظاهر السلوك التى تصدر عن الإنسان فى البيئة من حوله، فذلك فقط مما يقبل الملاحظة العامة*، بينما هى كمنظرية تذهب إلى أن الموضوع الوحيد الذى يمكن لعلم النفس دراسته هو السلوك القابل للملاحظة. فلم يحدث أن ظهر مصطلح «الوعى» فى مفردات أى علم طبيعى، من هنا فإن على علم النفس بالمثل أن يتخلص منه** . ليس الإحساس بالألم سوى سلوك لا إرادى يقوم على

* يقول واطسن «ان علم النفس كما يراه أصحاب النزعة السلوكية هو فرع تجريبي موضوعى لعلم طبيعى، هدفه النظرى التنبؤ بالسلوك والسيطرة عليه، حيث لا يشكل الإستبطان أى جزء من منهجه» (Watson, 1913, p. 158). ويقول: «إذا أردت - كعالم نفس - أن تظل عالماً بالمعنى العلمى للكلمة، فعليك أن تصف سلوك الإنسان بالمصطلحات نفسها التى تستخدمها فى وصفك لسلوك الثور الذى تذبحه» (Watson; 1970, p. IX).

** ويقول «يبدو أن الوقت قد حان ليتخلص علم النفس من أى إشارة للوعى متوهماً أن الحالات العقلية هى موضوع الملاحظة.. إن هذا الإستبعاد المقترح لحالات الوعى كموضوعات للبحث فى ذاتها سيزيل العائق الموجود الذى يفصل بين علم النفس والعلوم الأخرى» (Watson. 1913. p. 163, 177).

Block, Ned, (ed.) "The Nature of Consciousness - Philosophical Debates" MIT Press. Cambridge, Massachusetts. 1998 p. 16.

قوانين المنبه والإستجابة الآلية، كما يعتمد الإدراك الحسى على القوانين نفسه، فليست الرؤية سوى تنبيه ضوئى يسقط على العين وينتقل بطريقة آلية إلى الأعصاب فالمخ الذى يستجيب بطريقة آلية. كما لاحظ واطسن أن بعض العمليات العقلية كالتذكر أو الصور الحسية أو الصورة اللاحقة قد تعبر عن ذاتها فى سلوك خارجى، وحينئذ يفسر تلك العمليات بفضل تغيرات فسيولوجية معينة فى الجهاز العصبى أو فى المخ، حتى السلوك الظاهر فى البيئة يعبر عن ذاته فى صورة تغيرات فسيولوجية فى الأحشاء والغدد ونبض القلب وتغيرات فى خلايا المخ ونحو ذلك. إذا لا معنى للشعور والعقل والحالات النفسية والحوادث العقلية غير تلك التغيرات الفسيولوجية والحركات الظاهرية(1).

فإذا انتقلنا إلى النزعة السلوكية فى الفلسفة، فإنه يمكن القول أن فيلسوفى الوضعية المنطقية أوتونيراث ورودلف كارناب قد تبنا التفسير السلوكى للحياة النفسية والعقلية والذى كان يعنى بالنسبة لهما بيان كيف أن القضايا عن العمليات العقلية والحالات الشعورية قضايا مكافئة منطقيا للقضايا عن السلوك الخارجى للأفراد، أى قضايا لها معنى واحد(2). فعلى يد أوتونيراث تحالفت الوضعية المنطقية مع الإتجاه السلوكى، ذلك أنه إذا أمكن بيان هذا التكافؤ المنطقى، فإن هذا يعنى إمكانية تعبير لغة الفيزياء عن

(1) محمود زيدان «فى النفس والجسد». مرجع سابق ص ٤٧.

(2) Passmore. John "A Hundred Years of Philosophy". Pelican Books. reprinted 1972. p. 378.

الحياة النفسية والعقلية - أى التعبير عن هذه الأخيرة كعمليات بيولوجية تحدث في مكان وزمان، ومن ثم بيان إمكانية رد علم النفس إلى علم الفيزياء للتدليل على «وحدة العلم»⁽¹⁾ وهو المشروع الذى أملت الوضعية المنطقية من تبنيها للتفسير السلوكى للحياة العقلية أن تحققه.

ولكن تجدر الإشارة هنا إلى أنه إذا كانت الوضعية المنطقية قد تحالفت مع النزعة السلوكية فى علم النفس، فإن هدف كل منهما مختلف. لقد هدفت الوضعية المنطقية من تبني النزعة السلوكية بيان أن الظواهر جميعها من نوع واحد - ظواهر فيزيقية وذلك برد الظواهر العقلية لنفسية إلى سلوك وتغيرات فسيولوجية، ومن ثم بيان إمكانية رد علم النفس إلى علم الفيزياء والبرهان على وحدة العلوم. أما النزعة السلوكية - فى علم النفس - فكانت تهدف إلى بيان وقوف علم النفس كعلم طبيعى إلى جانب العلوم الطبيعية الأخرى - أى على المستوى نفسه للعلوم الطبيعية الأخرى دون أن تهدف من ذلك إلى ذوبانه فى علم الفيزياء.

وعلى كل فليس من اليسير بيان أى الإتجاهين أثر فى الآخر: هل وجدت الوضعية المنطقية فى السلوكية النفسية إتجاهاً جاهزاً تستعين به لتحقيق هدفها فى بيان وحدة العلوم؟ أم أن سيادة الإتجاه الوضعى بصفة عامة فى بداية القرن العشرين هى التى مهدت الطريق لتبنى علم النفس للمنهج وللنظرية السلوكية فى

(1) Ibid. p. 376.

مواجهة الإتجاه الإستبطاني، والذي فشل في أن يحقق لعلم النفس الطابع العلمي بالمعنى الدقيق للعلم، (1).

وعلى كل فإنه لما كانت النزعة السلوكية - لدى نيرات وكارناب - تحاول بيان الإحساسات والسلوك على أساس منطقي، أي أن القضايا عن العقل والوعي يمكن بالتحليل بيان أنها ليست سوى قضايا تصف السلوك، كانت الحجج التي وجهت لها حججاً منطقية تتجه نحو هذا الأساس المنطقي الذي تقوم عليه النزعة السلوكية. من هنا كان الإعتراض الرئيسي الموجه للنزعة السلوكية مفاده أنه لا تناقض بين قولي عن شخص ما أنه يشعر بألم ما وأنه في الوقت نفسه لا يسلك بأى طريقة ما (2).

بالإضافة إلى هذه الحجة الرئيسية هناك حججتان قويتان ضد النزعة السلوكية يمكن التعبير عنهما على النحو التالي: ١- إذا كانت النزعة السلوكية صادقة، فإنه بإمكانني أن أعرف أن لدى ألم ما أيضاً عن طريق ملاحظة سلوكي. ولما لم يكن يحدث أنني ألاحظ سلوكي الخاص متى كان لدى ألم، فإن النتيجة بإختصار هي عدم صدق النزعة السلوكية (3).

٢- لو كانت النزعة السلوكية صادقة، فإنه يجب أن يكون بإمكانني دائماً - من حيث المبدأ - أن أكتشف متى يكون لديك ألم

(1) Block. Med et al (eds.) op.cit. p. 15.

(2) Chappel. V.C. (ed.) "The Philosophy of Mind" op. cit. p. 10.

(3) Ziff. Paul "About Behaviorism" in "the Philosophy of Mind" op. cit. p. 147.

ما وذلك بملاحظة سلوكك، ولما لم يكن بإمكانى دائماً - حتى من حيث المبدأ - أن أكتشف أنك تشعر بألم متى كان لديك ألم، بينما بإمكانى دائماً أن ألاحظ سلوكك، فإنه ينتج أن النزعة السلوكية ليست صادقة(1).

وإذا كانت هذه الاعتراضات التي تم توجيهها للسلوكية في شكلها المبكر صحيحة، فإنه تجدر الإشارة أنه ليس هذا هو فقط الشكل الوحيد الذي تتخذه النزعة السلوكية. هناك اتجاهات سلوكية حاولت تقديم حججاً أكثر قوة للتغلب على هذه الصعوبات، يمكن أن نذكر منها على سبيل المثال الاتجاه السلوكي لدى جلبرت رايل الذي يعد المعبر الحقيقي عن السلوكية الفلسفية.

حاول جلبرت رايل التغلب على الصعوبات التي واجهت السلوكية المبكرة التي أوجدت هوية بين الحياة الشعورية في الإنسان والتغيرات الفسيولوجية في المخ أو الحركات البدنية التي تظهر للآخرين وذلك بتبني اتجاهاً سلوكياً مفاده أن الحياة النفسية ليست سوى نماذج معينة من السلوك دون أن يعنى ذلك السلوك الراهن للشخص فقط وإنما الاستعداد أيضاً للسلوك(2).

رأى جلبرت رايل أن العقل مجموعة من الإستعدادات للسلوك إذا توافرت ظروف معينة، ولكن حين لا يتوفر السلوك يظل صحيحاً أن لدينا تلك الإستعدادات. ليس الذكاء مثلاً سوى استعداد

(1) Chappel. V.C. (ed.) "The Philosophy of Mind" op. cit. p. 10.

(2) محمود زيدان، في النفس والجسد، مرجع سابق ص 174.

معين لسرعة التكيف مع المواقف المفاجئة أو وحدة الذهن وتجنب الأخطاء، وقد لا يبدو ذكاء الذكي في كل لحظة، لكنه حين يواجه موقفاً مفاجئاً أو يقوم بعمل ذهني صعب، فإنه أكثر إستجابة ونجاحاً من غيره. وحين نقول أن إنفعال الغضب أو الخوف إستعداد للسلوك، لا نعنى دائماً سلوك الصياح وخروج القرد عن طوره أو الهرب.. فى كل الأوقات التى يحيها الغاضب أو الخائف وإنما تبدو هذه النماذج من السلوك إذا أثاره شخص ما أو ظهر ما يعتبر إهانة له⁽¹⁾. وبالمثل يفسر رايل الإرادة بأنها ليست سوى أداء عمل معين فعلاً أو إستعداد للقيام به إن توفرت ظروف معينة⁽²⁾.

على هذا النحو يكون جلبرت رايل بتبنى فكرة الإستعداد للسلوك قد حاول دفع الإعتراضات السابقة القائلة بإمكان حدوث خبرات دون أن يصحبها سلوك⁽³⁾.

وعلى كل فإنه سواء حاولت السلوكية فى شكلها المبكر رد الحياة النفسية والعقلية إلى سلوك، أو حاولت السلوكية الفلسفية - لدى جلبرت رايل مثلاً - ردها إلى إستعداد للسلوك، فإن الإتجاهين قد حاولا تبرير موقفهما الفلسفى إنطلاقاً من أسس منطقية، ومن هنا كانت محاولة بيان خطأ النزعة السلوكية قائمة بالمثلى على أسس منطقية عقلية.

(1) المرجع السابق ص 175.

(2) المرجع السابق ص 175.

(3) المرجع السابق ص 176.

النظرية الذاتية

من هنا جاءت النظرية الذاتية تحاول (١) الدفاع عن هوية الإحساسات أو الوعي والعمليات العقلية على أسس تجريبية وليس على أسس منطقية، (٢) التغلب على الصعوبة التي واجهت النزعة السلوكية الكامنة في عدم قدرتها على رد التصورات الإدراكية كالمعرفة والاعتقاد والفهم والتذكر والإرادة إلى عمليات داخلية، مما يعنى وفقاً لها أن سائر الظواهر النفسية والعقلية ظواهر فيزيقية تخضع جميعها لقوانين فيزيقية. وإن كان الباحث سيحاول بيان أن ما أملت فيه النظرية الذاتية لم يتحقق، فالحجج التي حاول فلاسفة النظرية الذاتية تقديمها للقول بالهوية هي الأخرى حجج منطقية وليست فروضاً تجريبية كما ادعوا.

يعد بلاس V.T.Place وسمارت T.T.C.Smart من أشهر الفلاسفة المعاصرين الذين تبنوا النظرية الذاتية. لقد حاول كل منهما بيان أن ما يعنيه بأن الوعي أو الإحساس عملية عقلية أن الذاتية هنا ذاتية فعلية تجريبية وليست ذاتية منطقية، أى أن الوعي أو الإحساس هو ذاته عبارة عن عملية عقلية وليس أن العلاقة بين الإحساس، وعملية عقلية، علاقة هوية في المعنى.

يرى بلاس أنه لا يعنى بأن الوعي عملية تحدث داخل المخ أنه يمكن رد القضايا عن الإحساسات والصور العقلية أو تحليلها إلى قضايا عن عمليات داخل المخ، (١)، وإلى المعنى نفسه ذهب

(1) Place. U.T. "Is Consciousness a Brain Process" in "The Philosophy of Mind" ed. by Chappell. V.C. op. cit p. 102.

سمارت في قوله أن الإحساسات عمليات في المخ لا بمعنى
إمكانية ترجمة القضايا عن الإحساسات إلى قضايا عن عمليات
داخل المخ.. ما تعنيه هذه النظرية أن ما تقرره عبارة الإحساس
هو ذاته في الواقع عملية داخل المخ. ليست الإحساسات سوى
عمليات داخل المخ،⁽¹⁾.

ولكن لم يرفض دعاه النظرية الذاتية تبرير الهوية التي تتأسس
على التكافؤ المنطقي أو هوية المعنى فقط؟

ذهب بلاس* إلى أن ذلك يرجع إلى أن قيام الهوية على أسس
منطقية يؤدي إلى الاعتقاد أن مجرد بيان إستقلال معنى أى
قضيتين إستقلالاً منطقياً يكفي للإعتقاد أن الكيانات التي تعبر
عنها القضيتان - طرفا التكافؤ - كيانات مستقلة من الناحية
الأنطولوجية⁽²⁾. لقد إستند الرافضون للفرعة السلوكية كنظرية
متسقة منطقياً إلى النقد الذي تم توجيهه لها من أنه لا تتناقض
منطقي بين القول بأن شخصاً ما يشعر بألم والقول أنه لا شئ
يحدث داخل رأسه ومن ثم إنتهوا إلى أنه لا يمكن لحالة الوعي أن
تكون عملية داخل المخ⁽³⁾.

(1) Smart, J.J.C. "Sensations and Brain Processes" in "The
Philosophy of Mind" op. cit. p. 163.

* سيركز الباحث من الآن على «بلاس» فقط ولا حاجة لعرض النظرية الذاتية كما
قدمها «سمارت»، إذ يرى الباحث أن الاختلاف بينهما ليس جوهرياً.

(2) Place, U.T. "Is Consciousness a Brain Process" op. cit.
p. 104.

(3) Ibid. p. 103.

يرى بلاس أن الاستقلال المنطقي لقضيتين لا يبرر دائماً الإستقلال الأنطولوجي لما تعبر عنه القضيتان، فهناك حالات إستثنائية. تمثل العلاقة بين العمليات في المخ والوعي إحدى هذه الحالات. إن خطأ الإعتقاد بالإستقلال الأنطولوجي ينتج من أن العمليات التي يتم بها التحقق من صدق القضايا عن الوعي ومن صدق القضايا عن العمليات في المخ عمليات مختلفة. يجد بلاس في العمليات التي نتحقق بها من حدوث البرق والعمليات التي نتحقق بها من حدوث حركة الشحنات الكهربائية - وهي عمليات مختلفة - مثلاً لذلك. فنحن نتحقق من حدوث حركة الشحنات الكهربائية - الذي هو البرق - بإجراءات علمية خاصة، بينما نتحقق من حدوث البرق بالملاحظة، ومع ذلك نحن نعرف أن الحادثة الأولى ليست سوى الحادثة الثانية وما ذلك إلا لأن لدينا نظرية علمية بإمكانها أن تقدم لنا تفسيراً لما يلاحظه الشخص العادي⁽¹⁾. من هنا فإنه إذا أردنا تأسيس هوية الوعي وبعض العمليات الخاصة في المخ، فإنه من الضروري أن نبين أنه من الممكن تفسير الملاحظات الإستبطانية التي يقولها الشخص عن نفسه كعمليات تحدث في مخه. إن الصعوبة التي تواجه عالم الفسيولوجيا في محاولته بيان هذه الهوية لا تكس في أي تناقض ذاتي في إدعائه هذا ولكنها تكمن فيما يبدو له أنه إستحالة تفسير ما يقوله الشخص عن حالاته الواعية على أنها خصائص الجهاز العصبي المركزي⁽²⁾. هذه الإستحالة المزعومة ناتجة عن خطأ

(1) Ibid. p 106

(2) Ibid. p 107

منطقي يسميه بلاس «المغالطة الظاهرية phenomenological Fallacy»، ألا وهي خطأ الإعتقاد أن الشخص في وصفه لخبراته عندما يصف كيف تبدو الأشياء وكيف يشعر بها أو يتذوقها، فإنه يصف خصائص الخبرات كما لو كانت خصائص لأشياء لها وجود داخله. فهو يصف صورته تلوية after - image خضراء مثلاً كما لو كان هناك في عالم الفيزياء وجود لهذه الصورة، بينما في الحقيقة لا وجود لهذه الصورة الخضراء لا في الخارج ولا داخله.

ان خطأ هذه الأكذوبة قائم على افتراض خاطئ مفاده أنه بما أن قدرتنا على وصف الأشياء في البيئة يعتمد على وعينا بها، فإن الأوصاف التي نقدمها للأشياء هي بالدرجة الأولى أوصاف لخبرتنا الواعية التي عن طريقها نصل إلى أوصاف الأشياء والحوادث خارجنا. فلما كنا نتعرف على الأشياء في البيئة بالهيئة التي تبدو لنا عليها، فإننا نبدأ أولاً بوصف خصائصها الظاهرة والتي عن طريقها فقط يمكننا الاستدلال على خصائصها الحقيقية⁽¹⁾.

يرى بلاس أن العكس هو ما يحدث. نحن نتعلم أولاً التعرف على الأشياء - حتى وان كان ذلك عن طريق خصائصها الظاهرة - قبل أن نتعلم وصف وعينا بها، فنحن نصف خبراتنا الواعية لا بالرجوع إلى الخصائص الظاهرة كخصائص تكمن في موضوعات لها وجود في ميدان الظواهر ولكن بالرجوع إلى الخصائص الفيزيائية العقلية للموضوعات والحوادث والعمليات

(1) Ibid. p. 108.

الفيزيائية التي هي المصدر الحقيقي لخبراتنا الواعية التي نحاول وصفها. هنا فإننا عندما نصف صورته تلوياً بأنها خضراء فإننا لا نعنى أن هناك شيئاً - الصورة التلوئية - لونه أخضر له وجود ولكننا نعنى أن لدينا الخبرة التي تعلمنا أن نصفها عبر هذا النحو متى نظرنا إلى بقعة ضوئية لها لون أخضر(1).

فقط متى تخلصنا من هذه الأكاذيب الظاهرية سندرك أنه ليس من الصعب تفسير ملاحظتنا الاستبطانية - وصف خبراتنا الذاتية - كعمليات عقلية، وسندرك أنه لا تمييز بين ما يقوله الفرد عن خبراته الواعية والعمليات العقلية التي يتحدث عنها عالم الفسيولوجيا على أنها مصدر وصف البيئة. ليس على عالم الفسيولوجيا لتفسير وصف الشخص العادي لخبرة ما - كأن يقول مثلاً أنه يلاحظ ضوءاً ما يتحرك - سوى بيان أن العملية العقلية التي جعلت الشخص العادي يصف هذه الخبرة على النحو الذي وصفها به هي ذاتها العملية التي تحدث عادة متى لاحظ الشخص العادي شيئاً فعلياً يتحرك وهو الشيء الذي يجعله يصف حركته(2).

يتساءل الباحث، إلى أى مدى يعد هذا الكلام من قبيل بلاس فرضاً تجريبياً يمكن على أساسه تفسير هوية الخبرات الواعية وبعض العمليات داخل المخ؟ كيف نتحقق منه؟ خاصة أن النظرية الذاتية قد تعرضت للنقد نفسه الذي تم توجيهه للنزعة

(1) Ibid, p. 108.

(2) Ibid, p. 109.

السلوكية بأنه من الممكن للفرد أن يكون في حالة عقلية معينة دون أن تكون لديه خبرة واعية بذلك،⁽¹⁾.

يرى الباحث أن النظرية الذاتية - كما يعرضها بلاس على الأقل - محاولة لتوضيح أخطاء وحجج منطقية أكثر منها نظرية قائمة على أدلة تجريبية.

المهم لدينا الآن أن هذه النظرية في محاولتها بيان هوية الحوادث العقلية والحوادث الفيزيقية - بقولها بهوية العقل والمخ - فإن ذلك فقط ما يقبله منها دونالد دافدسن دون نتيجتها ألا وهو خضوع الحوادث العقلية لقوانين حتمية كالظواهر الفيزيقية وهو ما سنحاول بيانه.

(1) Westphal, Jonathan, "Philosophical Propositions. An Introduction to philosophy". Routledge. London and New York. 1st published. 1998. p. 122.

كارل هيمل والتفسير العلمى .

التفسير من أهم أهداف العلم الإمبريقي. وجوهر العلم هو تقديم قوانين تفسر الظواهر بل والقوانين أيضاً - بتوضيح أنها تنبع من قوانين أخرى.. وتفسير الظاهرة هو محاولة تقديم تقرير عن سبب حدوثها، أى أنه الاجابة عن تساؤل يبدأ بـ «لماذا» (1).

ولكن هل تفسير الظاهرة أو الحادثة المفردة ببيان سبب حدوثها يكشف دائماً عن قانون تدرج تحته هذه الحادثة الجزئية، أو يبرر العلاقة العلية بغض النظر عن طبيعة هذه الظواهر أو الحوادث؟ أى بصرف النظر عما إذا كانت فيزيقية، عقلية أو تاريخية؟

هذه هى النقطة الهامة التى نريد إبرازها، إذ هنا يمكن جوهر اختلاف دافدسن عن كارل هيمل كما سنرى .

يطلق كارل هيمل على التفسير العلمى، التفسير النومولوجى الاستنباطى، "Deductive Nomological Explanation"، أى ذلك الذى يقدم تفسيراً لحالة أو حادثة جزئية بإخضاعها أو إدراجها تحت قانون عام أو مبدأ أو فرض عام.

لشرح تصور هيمل للتفسير نعود إلى المثال الذى قدمه ألا وهو تفسير كسر زجاج النافذة بقذفه بشدة بقطعة من الحجارة. يرى هيمل أن التفسير العلى لكسر زجاج النافذة ليس فقط واقعة قذفه بقطعة من الحجارة - وعندئذ تكون العلة حادثة منفصلة عن المعلول - ولكنه يكتمل - أى التفسير العلى - بإضافة خاصية

(1) سهام التويهي، نظرية المنهج العلمى، دار البيان، 1995 ص 99.

القابلية للكسر التي يتصف بها الزجاج إذ أنها ضرورية لإكتمال التفسير، فلو لم يكن للزجاج هذه الخاصية لما نتج إنكساره عن قذفه بقطعة من الحجارة .

فالتفسير العلى - وفقاً لهيمبل - يكتمل بالعاملين معاً، فما جعل قذف الزجاج بالحجارة علة كسره هي خاصية القابلية للكسر المتضمنة في الفرض العام الذي مفاده أنه في أى وقت يتم فيه قذف الزجاج بجسم مادي فإنه ينكسر.

التفسير الصحيح إذ نصل إليه من كل من (١)، (٢) معاً على النحو التالي:

(١) العبارة التي تصف الحادثة المفردة .

(٢) تم قذف زجاج النافذة بشدة بقطعة من الحجارة في زمن (ز١) فرض عام .

(٣) متى تم قذف الزجاج بشدة بجسم صلب في أى وقت فإنه ينكسر .

النتيجة: إنكسر الزجاج في زمن (ز١) .

على هذا النحو لم نصل إلى النتيجة من واقعة قذف الزجاج فقط ولا من الفرض العام فقط ولكن تم إستنباطها من العبارة المقررة للحادثة المفردة بالإضافة إلى الفرض العام المنطوق على الميل الذي يتصف به الموضوع (وهو القابلية للكسر بالنسبة للزجاج في حالتنا هنا)^(١) .

(1) Hempel, Carl "Aspects of Scientific Explanation ==

وإذا كان المثال الذي قدمه هيمبل تفسيراً علياً، وكان «التفسير العلى يشكل فقط نمطاً من التفسير النولوجى الإستنباطى - إذ ليس كل تفسير إستنباطى تفسيراً علياً، - (1) فإن هذا التفسير هو ما يهمننا هنا.

يرى هيمبل أن الفعل الإنسانى من الظواهر التى يتم تفسيرها علياً - أى بذكر سببها - هذه الأسباب هى إعتقادات ودوافع الفاعل (2). إن تفسير فعل ما قام به شخص ما بإرجاعه إلى أسبابه (الإعتقادات والدوافع التى أدت بالشخص إلى الفعل) وإن كان تفسيراً لفعل فردى - ولكنه - مثلما كان الحال مع المثال الفيزيائى السابق - تفسير لفعل يندرج تحت قانون، أى أنه تفسير تم إستنباطه من فروض عامة تقول ما سيفعله سائر الناس بصفة عامة، أو كيف سيميلون إلى التصرف متى كانت لديهم الدوافع والأسباب كذا وكذا (3). فالعلاقة بين الأفعال وأسبابها - لدى هيمبل - علاقة حتمية تبرزها فروض سيكلوجية عامة عن الطريقة التى سيتصرف بها أى شخص عاقل فى ضوء إعتقاداته الفعلية (4)، مبادئ تأخذ شكل القوانين (5).

== And Other Essays in the philosophy of science" The Free Press, New York. Callier - Macmillan Limited. London. 1965 p. 458. 459.

(1) سهام النوبهى «نظرية المنهج العلمى، مرجع سابق ص 108.

(2) Hempel, Karl "Aspects of Scientific Explanation" op. cit. p. 450.

(3) Ibid. p. 451.

(4) Ibid. p. 450.

(5) Ibid. p. 451.

ما الذى يعنيه كارل هيمل هنا؟

إن أقل ما يمكن إستنتاجه هنا أن كارل هيمل يذهب إلى إمكانية التفسير العلمى للسلوك الإنسانى وهو ما يجعل من علم النفس - المنوط به دراسة السلوك الإنسانى - علماً أسوة بالعلوم الفيزيائية وهى النتيجة التى سنرى أن دافدسن يرفضها وإن وافق كارل هيمل على التفسير العلمى للأفعال الإنسانية.

النظرية الذاتية لدى دافدسن.

بقى أن نعرض الآن لنظرية دافدسن فى العلاقة بين الحوادث الفيزيقية والحوادث العقلية، تلك التى - كما قلنا فى المقدمة - يعد فيها بتقديم شكل لنظرية فى هوية الحوادث الفيزيقية والعقلية يختلف بها عن النظرية السلوكية ببيان عدم إمكانية رد الحوادث العقلية إلى حوادث فيزيقية وعن النظرية الذاتية التقليدية - ببيان عدم خضوع الحوادث العقلية لقوانين أسوة بالحوادث الفيزيقية وهو ما سيعنى بالضرورة التساؤل عن مدى علمية علم النفس أو أحقيته فى أن يكون علماً.

سنحاول أن نعرض لنظريته فى النقاط التالية:

- ١- طبيعة الحوادث.
- ٢- تصوره للحوادث العقلية أو لميدان ما هو عقلى.
- ٣- الأفعال الإنسانية.
- ٤- العلاقة بين الوجود الفيزيقى والوجود العقلى.
- ٥- موقف دافدسن من علم النفس.

١- الحوادث وطبيعتها.

يرى دافدسن بداية أن هناك حوادث - بالمعنى الأنطولوجي للكلمة -، أى أن الحوادث هي إحدى أنواع الكيانات التي لها وجود في العالم الواقعي. يأخذ دافدسن هذه الواقعة كإفتراض ليس في حاجة للمناقشة أو للتبرير، إذ بدون إفتراض وجود حوادث، لن يكون هناك معنى لمعظم كلامنا العادي⁽¹⁾. ولكن إفتراض وجود حوادث يؤدي بالضرورة إلى التساؤل عن طبيعتها وهو ما يحاول دافدسن تبريره.

يرى دافدسن أن الحوادث كيانات تتصف بالجزئية والفردية، أى بعدم التكرار وبعدها مرة واحدة، مثل إنفجار بركان معين، أو ميلاد (أو وفاة) شخص، أو قيام حرب ما⁽²⁾. هذه الفردية التي تتصف بها الحوادث هي فقط ما يمكننا من تقديم أكثر من وصف لها، إذ أن تقديم أكثر من وصف للكيانات الجزئية هي إحدى الخصائص الهامة لها⁽³⁾ وهو ما يتطلبه تقديم نظرية مرضية للفعل الإنساني - والأفعال وفقاً لدافدسن حوادث كما سنرى - وللتفسير والعلاقة بين ما هو عقلي وما هو فيزيقي؛ فلتقديم نظرية في الفعل الإنساني نحن في حاجة إلى امكانية تقديم أكثر من وصف للفعل الواحد؛ لقد حرق فلان عن عمد قطعة من الورق، في هذا الوصف تبرير لحرقه وثيقة هامة لأنه لم يكن

(1) Davidson. Donald "Causal Relations" p. 162.

(2) Davidson. Donald "Mental Events" p. 209, 210.

(3) Evnine. Simon "Donald Davidson" Policy Press. 1991 p. 27.

يعرف أن هذه الورقة وثيقة هامة ولأن حرقه الوثيقة هو حرقه للورقة⁽¹⁾.

التفسير أيضا في حاجة إلى وصف وإعادة وصف وهو ما لم يكن ممكنا لو لم تكن الحوادث كيانات فردية. فإذا قلنا حدثت كارثة في القرية بالأمس، فإنه في معرض تفسير سبب الحدوث سنحتاج إلى إعادة وصف هذه الحادثة بأن ما حدث كان سيلاً إجتاح القرية، وإذا ما أردنا ذكر سبب هذا السيل سنصف هذه الحادثة وصفاً آخر باستخدام مصطلحات أخرى.. وهكذا فكل هذا الحديث عن الوصف وإعادة الوصف لم يكن ليكون له معنى ما لم تكن حوادث هي كيانات فردية يمكن وصفها وإعادة وصفها فإذا أضفنا إلى ذلك النظرية الذاتية التقليدية التي ترى أن الحوادث العقلية تجمعها هوية بحدوث فسيولوجية، فإن دافدن يرى أنه لن يكون لقبول هذه النظرية ولا لرفضها معنى ما لم تكن الحوادث كيانات فردية، إذ أن الإدعاء أو رفض الإدعاء بوجود هوية بين الحوادث العقلية والحوادث الفسيولوجية يفترض وجود هذه الحوادث ككيانات كما يفترض إتصافها بالفردية⁽²⁾.

الحوادث إذا كيانات جزئية فردية تتصف بإمكانية تقديم أكثر من وصف لها. ولكن ما هو المبدأ الذي على أساسه يمكن تحديد فردية الحوادث؟

(1) Davidson. Donald "The Individuation of Events" p. 165.

(2) Ibid. p. 165.

كان على دافدسن أن يجيب على هذا السؤال وإلا لأصبح من الإسميين الذين يرجع أحد أسباب إنكارهم لوجود بعض الكيانات - مثل القضايا - إلى عدم قدرتهم تقديم شروط واضحة لفردية هذه الكيانات(1).

من هنا أجاب دافدسن أن ذلك يمكن أن يتم متى أجبنا على السؤال: متى تكون لحادثتين هوية واحدة⁽²⁾؟ ومن هنا كان قدر كبير من حديث دافدسن عن الحوادث وطبيعتها عبارة عن مناقشة لشروط هويتها⁽³⁾، وهى المناقشة التى إنتهى منها إلى أن لحادثتين هوية واحدة متى نتجتا عن علل واحدة أو كانتا علتين للمعلولات نفسها⁽⁴⁾.

يعبر دافدسن عن هذا المعيار - رمزياً - على النحو التالى:

هـ = فقط متى كان بالنسبة لـ (ى) (ى علة هـ → ى علة و) ومتى كان بالنسبة لـ (ى) (هـ علة ى → و علة ى).

يرى دافدسن أننا نعتاد فى كثير من الأحيان على وصف الحوادث أو تحديد هويتها بالنظر إليها على أنها علل أو معلولات، فذلك هو ما يهمنا بالنسبة للحوادث، كما أن ذلك هو ما يضمن أو يبرر فردية الحوادث. ثم إن هناك حالات يبدو فيها معيار العلية -

(1) Evnine. Simon "Donald Davidson" op. cit p. 26 - 27.

(2) Davidson. Donald "The Individuation of Events" p. 172.

(3) Evnine. Simon "Donald Davidson" p. 27.

(4) Davidson. Donald "The Individuation of Events". p. 179

وفقاً لدافدسن - أفضل معيار يمكن تقديمه لتفسير فردية الحوادث .
فإذا قلنا مثلاً أن حدوث الألم لدى شخص ما تجمع هوية بحادثة
فسيولوجية معينة، فإن أفضل دليل يمكن تقديمه هنا هو دليل إتفاق
الألم والتغير الفسيولوجي في علل أو معلولات واحدة⁽¹⁾ .

إلا أن هذا المعيار الذى يصفه دافدسن يواجه مشكلة خطيرة،
ذلك أنه إذا كانت الحوادث - وفقاً له - تجمعها علاقات عليية فيما
بينها، وكانت الحوادث تجمعها هوية متى نتجت عن علل واحدة أو
كانت عللاً للمعلولات نفسها، فإن هذه العلل أو المعلولات ذاتها التى
تحدد الحوادث وفقاً لها هى ذاتها حوادث. من هنا يصبح منطوق
المعيار على النحو التالى:

(الحوادث تجمعها هوية إذا - وإذا فقط - كانت تجمعها هوية).
من هنا فإنه حتى وإن كان معياراً صحيحاً فلن يخدم كمعيار جيد
لفردية الحوادث⁽²⁾ .

لقد تبنى كواين هذا النقد وهو النقد الذى قبله دافدسن فيما بعد
وقبل معه معيار كواين وذلك فى معرض رده على مقالة كواين -
وكلا المقالتين ظهرت فى الكتاب الذى ضم سائر أعمال الندوة التى
أقيمت لمناقشة أعمال دافدسن فى فلسفة العقل ١٩٨٥ - بعد أن
كان قد رفض هذا المعيار فى مقالته 'فردية الحوادث' The
Individuation of Events، ١٩٦٥ مفضلاً معيار هوية العلة
والمعلول.

(1) Ibid. p. 179.

(2) Evnine. Simon "Donald Davidson" p. 28.

يقول دافدسن معبراً عن هذا الإنتقال الذى حدث له :

«يقول كواين أن معيارى المقترح لفردية الحوادث معيار غير مرض . وأنا أوافقه على ذلك . ولكنى كنت قد قبلت هذا المعيار بصورة مؤقتة .. لقد أوضح لى كواين خطأ إفتراضى ، لذا فأنا هنا أرفضه .. إن معيار كواين معيار أفضل»⁽¹⁾ .

ولكن ما هو معيار كواين ذلك الذى كان دافدسن قد رفضه ؟

إن معيار كواين أن الحوادث تجمعها هوية متى حدثت فى المكان نفسه والزمان نفسه⁽²⁾ .

ولم عاد دافدسن يقبله بعد أن كان قد رفضه ؟

كان دافدسن فى معرض مناقشته لشريط هوية الحوادث قد فضل المعيار العلى على معيار ذاتية المكان والزمان كمعيار يحدد فردية الحوادث وذلك للتمييز بين الحوادث والموضوعات الفيزيقية التى تتصف بأنها موضوعات مادية . فالموضوعات الفيزيقية تجمعها هوية متى إحتلت المكان نفسه والزمان نفسه، كما أنها تتصف بأنها موضوعات مادية وهو ما يعنى أنه لن يكون هناك تمييز بينها وبين الحوادث متى كان معيار هوية الحوادث هو بالمثل

(1) Quine. W.V. "Events and Reification" in "Actions and Events- Perspectives on the philosophy of Donald Davidson". ed. by Ernest Lepore and Brian McLaughlin. Basil. Blackwell. 1985 p. 175.

(2) Davidson. Donald "Reply to Quine on Events" in "Actions and Events" p. 175.

حدوثها في المكان نفسه والزمان نفسه. هذا التمييز رآه دافدسن تمييزاً هاماً وأن كان يقبل أن سائر الحوادث حوادث فيزيقية - بما في ذلك الحوادث العقلية كما سنرى - فإن هذا لا يعنى أنها بالضرورة مادية.

عاد دافدسن - ١٩٨٥ - إلى قبول معيار كواين أن هوية المكان والزمان معيار أفضل لتحديد فردية الحوادث لأنه رأى أنه من الممكن أن يقبل هذا المعيار وأن يحافظ في الوقت نفسه على التمييز بين الحوادث والموضوعات الفيزيقية المادية؛ فالعلاقة بين كل من الحوادث والموضوعات الفيزيقية والزمان والمكان علاقة مختلفة، فالحوادث تحدث في زمان ومكان بينما الموضوعات تحتل أماكن في أزمنة معينة. فالحركات التي تحدث في المحيط (حوادث) ليست هي ذاتها الأمواج (موضوعات)، وليست عمليات التكثيف والتبخير لجزيئات الماء molecules هي ذاتها السحابة. فالحوادث والموضوعات تختلف في علاقتها بالمكان والزمان. الموضوع يبقى هو ذاته رغم التغيرات التي قد تطرأ عليه، بينما الحوادث هي عمليات التغيير التي تحدث للموضوع. هذا التمييز بين الحوادث والموضوعات تمييز أراد دافدسن أن يظل متمسكاً به حفظاً لتصوره للحوادث كحوادث فيزيقية وليست مادية^(١).

ولما كان دافدسن قد وضع نظريته في الذاتية بأكملها قبل أن يتحول إلى معيار كواين، فإننا سنلتزم في عرضنا لبقية أجزاء نظريته بمعياره الأساسي ألا وهو هوية العلة والمعلول.

(1) Davidson, Donald "Reply to Quine on Events" in "Actions and Events" op. cit p. 176.

٢- الحوادث العقلية

إنتهينا مع دأقدسن إلى أن الحوادث كيانات تتصف بالجزئية والفردية وعدم التكرار. ولكن ماذا عن الحوادث العقلية؟ بم تتميز هذه الحوادث عن الحوادث الفيزيقية؟

لدى دأقدسن تصور معين لما هو عقلي - في مقابل ما هو فيزيقي. ولكنه عندما يحاول أن يضع معياراً يتم وفقاً له بوضوح التمييز بين الحوادث العقلية والحوادث الفيزيقية، فإنه يفشل في ذلك ويعترف به⁽¹⁾.

رأى دأقدسن أن الحوادث والحالات العقلية هي تلك التي يمكن وصفها بمفردات عقلية mental terms، أما الحوادث الفيزيقية فتلك التي يمكن وصفها بمفردات ومصطلحات فيزيقية purely physical vocabulary⁽²⁾. فإذا ما تساءلنا ما معنى أن يتم وصف الحوادث بمفردات عقلية - أو أن يتم وصفها وصفاً عقلياً mental description - فإنه يجيب بأنها الأوصاف أو العبارات التي تحوى فعلاً نحوياً verb عقلياً واحداً على الأقل. والأفعال النحوية العقلية mental verbs هي تلك التي تعبر عن موقف ما من قضية مثل الاعتقاد والنية والرغبة والتمنى والمعرفة والإدراك والملاحظة والتذكر... الخ⁽³⁾. وكان برتراند رسل هو من أطلق على هذه الأفعال النحوية اسم أفعال الموقف القضائي propositional

(1) Davidson. Donald "Mental Events" p. 212.

(2) Ibid. p. 211.

(3) Ibid. p. 210.

attitude verbs، لأنها تعبر عن موقف ما يمكن لشخص ما أن يأخذه تجاه قضية⁽¹⁾.

الحالات العقلية - وفقاً لداقدسن - هي تلك التي نستخدم في وصفها عبارات ترد فيها هذه الأفعال النحوية ومحتواها هو القضايا التي تعبر هذه الأفعال النحوية عن المواقف منها. يستبعد داقدسن هذه الأفعال النحوية - كأفعال تقدم وصفا لحادثة عقلية - متى ظهرت في سياقات ما صدقية. فالفعل «لاحظ noticed»، مثلاً في الجملة «لاحظت قطعاً في الحجرة»، لا يعبر عن موقف ما من قضية، كما أنه يظهر في سياق ما صدقي. لذا فإنه هنا لا يقدم وصفا لحادثة عقلية. أما الفعل نفسه في الجملة «لاحظت أن القلم بدأ يتدحرج على المنضدة»، فيعبر عن موقف ما من القضية التي تمت ملاحظة ما عبرت عنه. وهكذا بالنسبة لبقية الأفعال النحوية، فـ (أعرف أن) و(أتمنى أن) و(أعتقد أن) أمثلة للأفعال النحوية المعبرة عن الحالات العقلية ذات المحتوى القضائي⁽²⁾.

من هنا رأى داقدسن أن الحالات العقلية - أو المواقف القضائية - حالات قصدية - intentional بالمعنى الذي إستخدمه برنتانو للمصطلح - هذا المصطلح - كما تلاحظ سيمون إفتن - مصطلح صعب في الفلسفة كان يجب تمييزه - في هذا السياق على الأقل - عن خاصية «المقصود intentional»، التي يصف بها داقدسن

(1) Martinich, A.P. "The philosophy of Language". Oxford University Press. 3rd edition 1996 p. 326.

(2) Davidson, Donald "Mental Events" p. 200, 201.

الفعل الذي يقوم به شخص ما عن قصد⁽¹⁾. إلا أن دافدسن - كما لاحظ كيم Kim أيضا - لم يحدد لنا بوضوح ما عناه بأن الحوادث والحالات العقلية حوادث أو حالات قصدية⁽²⁾.

ولكن هل هذا هو فقط ميدان ما هو عقلي - وفقاً
لدافدسن؟

يقرر دافدسن صراحة أن الأفعال الإنسانية المقصودة والاحساسات الجسدية والصور اللاحقة تندرج أيضاً ضمن ميدان الحوادث العقلية⁽³⁾ رغم أنه من الواضح أنها ليست مواقف قضائية⁽⁴⁾. كما أنه لا محتوى لها على الأقل بالنسبة للإحساسات⁽⁵⁾. من هنا كان ما يقصده الباحث من فشل دافدسن في صياغة معيار يحدد به تصويره لما هو عقلي وذلك لإدراجه الحالات النفسية أيضاً ضمن ميدان ما هو عقلي ومن ثم لم تعد المواقف القضائية فقط هي المعبرة عن الميدان العقلي. أضف إلى ذلك أنه إذا كانت كل حادثة عقلية ستظهر وفقاً لهذا المعيار كحادثة عقلية - أي وفقاً لوصفها بأحد الأفعال النحوية المعبرة عن المواقف القضائية - فإن حوادث لا يختلف أحد على أنها حوادث فيزيقية

(1) Evnine, Simon "Donald Davidson" op. cit p. 8.

(2) Kim, Jaegwon. "Psychophysical Laws" in "Actions and Events" op. cit p. 375.

(3) Davidson, Donald "Mental Events" op. cit p. 211.

(4) McLaughlin, Brian "Anomalous Monism and the Irreducibility of the Mental" in "Actions and Events" op. cit p. 336.

(5) Evnine, Simon "Donald Davidson" op. cit. p. 8.

ستصبح حوادث عقلية لناخذ المثال الذي يقدمه دافدسن ألا وهو
حادثة إصطدام نجمين في الفضاء البعيد. لاشك أنه لن يختلف
إثنان أن هذه حادثة فيزيقية. هذه الحادثة حدثت في وقت ما. هذا
الوقت يمكن تحديده بأنه الوقت نفسه الذي لاحظ فيه شخص ما
قلماً بدأ يتدحرج على المنضدة. فأن يتم وصف الارتطام بأنه
الحادثة التي تزامنت مع ملاحظة الشخص للقلم عندما بدأ
يتدحرج على المنضدة يجعل من هذه الحادثة حادثة عقلية لتقديم
وصف عقلي لها بأحد الأفعال النحوية العقلية⁽¹⁾. وهو ما يعنى أنه
بالمثل يمكننا أن نقدم لكل حادثة وصفاً عقلياً ومن ثم يتم إعتبارها
حادثة عقلية.

إعترف دافدسن نتيجة لذلك أن معياره غير محدد وأنه من ثم
فى حاجة إلى معيار أكثر دقة. وعلى كل فإن ما يهمنا فى الوقت
الحالى أن الحوادث العقلية ذات الأهمية بالنسبة لدافدسن هى تلك
الحوادث التى تصفها الأفعال النحوية المستخدمة للتعبير عن
المواقف القضائية.

(1) Davidson, Donald "Mental Events" op. cit. p. 211.

٣- الأفعال الإنسانية

رأينا أن دافدسن يدرج الأفعال الإنسانية ضمن الحوادث العقلية. نحاول في هذه الفقرة أن نصل إلى تصور دافدسن للأفعال الإنسانية وما الذى تتميز به عن غيرها من الحوادث. وبأى معنى يدرجها دافدسن ضمن الحوادث العقلية.

رأى دافدسن أن الأفعال الإنسانية تختلف عن الحوادث الأخرى بأنها الحوادث التى يقوم بها أشخاص عن قصد، أى لسبب ما(1)، فالأفعال الإنسانية هى الأفعال المقصودة وليست تلك التى تحدث لنا أو تحدث منا بصورة عفوية(2).

ولكن كيف يظهر الفعل كفعل مقصود؟ من طريقة وصفه(4). فنحن نعرف أن الأفعال - من حيث أنها حوادث - يمكن أن نقدم لها أكثر من طريقة لوصفها. هنا يمكن للفعل أن يظهر مقصوداً وفقاً لوصف ما وقد لا يظهره وصف آخر كفعل مقصود، أو قد لا يبين ما إذا كان قد حدث عن قصد أم بالمصادفة. ما يعنيه دافدسن هو أن وصف الفعل وحده - كأن نقول: (أضأت النور) أو (سكبت محتويات الكوب) - لا يظهر الفعل كفعل مقصود. فقد أكون ضغطت على الزر بالمصادفة أو سقط منى الكوب عن غير قصد. أما إذا وصفت الفعل بذكر سببه (ضغطت على الزر لأنى أردت أن

(1) Donald Davidson "Actions, Reasons and Causes" p. 6. "Agency" p. 44. "Mental Events" p. 211. "Psychology as Philosophy" p. 229.

(2) Donald Davidson "Agency" p. 43.

(3) Davidson, Donald "Actions, Reasons and Causes" p. 5.

أضئ النور) أو (سكبت محتويات الكوب التي كانت فهوة لأنى
إعتقدت أنه شأى) فإنه ما يبين أن الفعل فعل مقصود(1).

من هنا رأى دافدسن أنه لا وجود لما يسمى فئة الأفعال
المقصودة(2) وهو ما يعنى لديه أن سائر الأفعال - لكى تكون أفعالاً
- فى مقابل الحوادث - يجب أن تكون أفعال مقصودة. ولكن
أوصاف الأفعال هى التى تبين الفعل كفعل مقصود. على هذا
النحو يضع دافدسن معياره.

الحادثة فعل إذا - فقط إذا - أمكن وصفها بطريقة تبين أنها
حادثة مقصودة(3).

وإذا كان وصف الفعل كفعل مقصود يكون بذكر سببه، فإنه لا
يُقدم وصفاً كاملاً للفعل سوى تفسيره تفسيراً عالياً ببيان علة
ومعلوله معاً؛ فإذا كان بروتس قتل بوليوس قيصر بقصد التخلص
من حاكم مستبد، فإن علة فعله هذا هى الرغبة فى التخلص من
الحاكم المستبد ومعلول الفعل هو موت قيصر. وإذا أغرق ضابط
السفينة أبنية إغراق السفينة ب، فإن رغبته فى إغراق السفينة ب
هى علة الفعل الذى معلوله هو إغراق السفينة أ(4).

بقى أن نعرف كيف يتصور دافدسن علة ومعلولات الأفعال.

الأسباب التى أدت بشخص ما أو دفعته إلى أداء الفعل - تلك

(1) Ibid. p. 11.

(2) Davidson. Donald "Agency" p. 46.

(3) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 229.

(4) Davidson. Donald "Agency". p. 48.

التي أدت بالفعل إلى أن يصبح فعلاً مقصوداً - هي علة الفعل . أما
نتيجة - أو نتائج - الفعل فهي معلولاته .

لنبدأ بتصوير دافدسن لمعلولات الأفعال .

إن خلاصة موقف دافدسن أن نتائج الفعل هي معلولاته
ومتى دخلت في وصف الفعل كانت جزءاً من الفعل . التفسير العلى
الصحيح للفعل لا يقرر علاقة عليية بين الفاعل وفعله أو بين الفاعل
ونتايج الفعل ولكن العلاقة العلية تقوم بين الفعل وما سببه .

لشرح ذلك نقول :

يميز دافدسن في فئة الأفعال ما يسميه الأفعال الأولية
primitive actions - أى تلك التي لا نفعها بفعلنا لشيء آخر سابق
عليها - ألا وهي حركات الجسم - كتحريك اليد مثلاً . يرى
دافدسن أن هذه فقط هي ما نطلق عليها الأفعال لأنها فقط ما يفعله
الشخص . أما نتايج هذا الفعل فمن عمل الطبيعة⁽¹⁾ . فإذا أراد
شخص ما قتل شخص آخر بإغماد سكين في صدره ففعله ينحصر
في حركة اليد التي هي إغماد السكين . أن يؤدي ذلك إلى موته أو
لا فذلك من عمل الطبيعة . وإذا أرادت الملكة قتل زوجها الملك
بصب السم في أذنه ، ففعلها ينحصر في حركة صب السم ، ويبقى
على السم أن يفعل فعله . من هنا رأى دافدسن أنه من الخطأ أن
ننسب للفاعل نتايج الفعل كعلة لها ، أو أن نقول أنه قام بفعلين :
'إغماد السكين ، ووالقتل ، في المثال الأول ، ووصب السم ، ووالقتل ،
في المثال الثانى .

(1) Ibid. p 69

من هنا يرى داقدسن أنه لا حاجة لنا في تقديم تفسير على للفعل إلى القول أن الشخص هو علة القتل، فالقول أنه علة القتل طريقة ملتوية للقول أن الفعل الذي قام به (إغماد السكين أو صب السم) هو الذى سبب الموت⁽¹⁾. ما يعنيه داقدسن أن التفسير العلى للفعل - كعلاقة بين شخص والفعل الذى قام به ببيان أنه علة الفعل - ليس خطأ ولكنه لا يضيف جديداً لفهم الفعل. العلية علاقة بين حوادث وليس بين شخص وفعل، أو شخص وحادثة. فالذى يسببه الشخص هو باختصار ما سببته أفعاله⁽²⁾.

وإذا كانت حركة اليد - من حيث أنها الفعل الأولى - ينتج عنها بالضرورة فعل ما، فإن داقدسن يرى أن هذه العلاقة لا تعبر عن علاقة عليية بين حادثتين ولكنها مجرد وصفين لحادثة واحدة. فعندما حركة الملكة يدها كانت تفعل ما سبب موت الملك - صب السم - من هنا ليست حركة يد الملكة سوى فعلها لما سبب موت الملك. ففعل شئ ما يسبب الموت تجمع هوية بإحداث الموت⁽³⁾. من هنا لم يكن القول أن أغمد سكيناً فى صدر ب مسبباً لموته، أو أن الملكة صبت سمأ فى أذن الملك مسببة لموته وصفاً لفعلين قام بهما القاعلى - فى كل مثال - ولكن إشارة إلى نتائج الفعل الأسمى والوحيد الذى قام به القاعلى⁽⁴⁾. بهذا قصد داقدسن - ما ذكرناه آنفاً - أن معلولاته أو نتائج الفعل متى دخلت فى وصف الفعل كانت جزءاً من الفعل.

(1) Ibid. p. 49.

(2) Ibid. p. 53.

(3) Ibid. p. 57. 58.

(4) Ibid. p. 59.

والآن إلى تصور علل الأفعال:

كنا قد رأينا أن دافدسن رأى أن وصف الفعل ببيان سببه هو ما يجعل من الفعل فعلاً، ذلك أنه ما يبين الفعل كفعل مقصود وهي الخاصية الرئيسية للحادثة لكي تكون فعلاً. وكما رأى دافدسن أن هناك أفعالاً أولية - هي الفعل بمعناه الحقيقي الذي يقوم به الشخص - فإنه يرى أن هناك أسباباً أولية primary reasons هي علل الأفعال رغم أنها ليست حوادث. السبب الأولي للفعل هو (أ) موقف الفاعل تجاه فعل من نوع معين، أي رغبته أو حاجته لأداء هذا الفعل. ثم (ب) إعتقاده أو (معرفته، إدراكه، ملاحظته، تذكره) أن هذا الفعل هو فعل من هذا النوع⁽¹⁾. فلقد أدت المفتاح لأنى كنت أريد أن أضئ النور. فحاجتى لإضاءة النور هي السبب الذى جعلنى أدير المفتاح وهي ما يقدم للفعل تفسيراً أو وصفاً جديداً للفعل - إدارتى المفتاح⁽²⁾. ولكن كيف يمكن لما أسماه دافدسن السبب الأولي للفعل أن يكون علة الفعل؟

١ - الأسباب الأولية على النحو الذى يقدمها به دافدسن مواقف وإعتقادات، أى حالات عقلية وميول وليست حوادث، فكيف يمكن أن تكون عللاً؟ ألا يجب أن تكون علة الحادثة الفيزيقية حادثة فيزيقية مثلها؟ كأن تكون علة إنهيار الكوبرى حدوث تصدع فجائى، أو تكون علة سقوط الطائرة لحظة الإقلاع إرتفاع مفاجئ فى درجة حرارة الجو وهكذا؟

(1) Davidson. Donald "Actions. Reasons and Causes" p. 3.

4.

(2) Ibid. p. 9.

يرد دافدسن بأنه ليس من الضروري لعلة الفعل أن يكون حادثة فيزيقية. فقد تنشأ داخلي فجأة رغبة لإيذاء مشاعرك لحظة إغضابك لي، أو تنشأ فجأة رغبة أكل التفاح لحظة رؤيتي له، أو ينشأ اعتقاد ما لحظة تذكري أو ملاحظتي أو رؤيتي لشيء ما. هذه الحوادث العقلية - الرغبات والإعتقادات - هي الأسباب الأولية للأفعال وهي عللها لأنها ما يقدم تفسيراً لها⁽¹⁾.

ولما كانت هذه الحوادث العقلية كعلل للأفعال حوادث فردية - وفقاً لتصور دافدسن للحوادث - فإن هذا لا يضعف من تصور العلة. ليس من الضروري للعللة أن تكون علة عامة، أى بمعنى تكرار حدوثها لتفسير تصرف ما فى حالة تكراره. يرى دافدسن أن ذلك لا ينطبق فقط على التفسير العلى للأفعال ولكن أيضاً على التفسير العلى للحوادث الفيزيقية. أى لا وجود بالمثل لعللة عامة تكون سبباً لسائر حالات إنهيار الكبارى دون أن يمنع هذا من إمكانية تفسير إنهيار كل كوبرى على حده تفسيراً علياً⁽²⁾.

٢- إن ذكر الأسباب الأولية لفعل ما إعادة لوصف الفعل، بينما العلاقة العلية علاقة بين حادثتين. إذا لا يمكن للأسباب الأولية أن تكون علة للفعل.

يرد دافدسن على ذلك بأن إعادة وصف فعل ما بذكر سببه لا يعنى أن هذا ليس تفسيراً علياً، كما أنه لا يجعلنا نخلط بين علة الفعل والفعل نفسه. فإذا كنت أصف فعلاً ما بذكر سببه بقولى «أنى

(1) Ibid. p. 12. 13.

(2) Ibid. p. 13.

أدرت المفتاح لأننى كنت أريد أن أضئ النور، فإن هذا لا يمنع من أن هناك تمييزاً بين الفعل ألا وهو أنى، وأدرت المفتاح، وسببه، وأردت أن أضئ النور.

هذا المثال يراه دافدسن مفيداً فى إزالة خطأ آخر وهو الاعتقاد بأننا لا نستطيع أن نصف فعلاً ما دون ذكر سببه. هنا يمكننا - وفقاً لدافدسن - وصف الفعل فقط بالقول، وأدرت المفتاح، دون ذكر سببه الذى كان أننى، وأردت أن أضئ النور،⁽¹⁾.

٣- الإرتباط العلى بين الأفعال وأسبابها تصفه تعميمات لا يمكن أن تتطور إلى القوانين التى يمكننا على أساسها التنبؤ بالسلوك⁽²⁾ وهو ما يعنى أن لدى دافدسن تصوراً للقانون يميز وفقاً له بين التعميمات التى تصف العلاقة بين الأفعال وأسبابها والقوانين التى تعد أداة التنبؤ وهو ما سنؤجل الحديث عنه الآن إلى حينه.

نخلص مما سبق إلى أنه لما كان ما يظهر الفعل الإنسانى أنه فعل قصدى هو وصفه بذكر أسبابه وكانت هذه الأسباب حوادث عقلية، كان الفعل الإنسانى المقصود حادثة عقلية لإستخدام أفعال عقلية فى وصفه - وهو معيار دافدسن للحوادث العقلية - كما رأينا.

(1) Ibid. p. 14.

(2) Ibid. p. 15.

٤- العلاقة بين الوجود الفيزيقي والوجود العقلي

الآن فقط بعرض العلاقة بين الوجود الفيزيقي والوجود العقلي يحاول دافدسن الوصول إلى إثبات واحدته غير القابلة للرد أو الواحدة غير الخاضعة لقوانين anomalous monism وذلك بمحاولته التوفيق بين مبادئ ثلاثة يقول أن كثيراً من الفلاسفة يرونها مبادئ متناقضة.

المبدأ الأول: يسميه دافدسن (مبدأ التفاعل العلي Principle
(of Causal Interaction)

مفاده أن هناك علاقات عليية - أو تفاعل علي - بين بعض الحوادث العقلية على الأقل كالإدراك والتذكر - والحوادث الفيزيقيّة. يقدم الإدراك الحسي والفعل الإنساني - لدى دافدسن - أوضح الأمثلة التي تبين أن هناك تفاعلاً علياً بين الحوادث العقلية والحوادث الفيزيقيّة^(١).

المبدأ الثاني: يسميه (مبدأ الطبيعة النومولوجية للعلاقة العلية
(Principle of Nomological Character of Causality)

مفاده أنه متى كانت هناك علاقة عليه بين الحوادث لزم أن يكون هناك قانون يحكمها. أي أن الحوادث التي تقف كعلا ومعلولات لبعضها البعض تخضع لقوانين حتمية دقيقة^(٢).

(١) Davidson, Donald "Mental Events" op. cit p. 208.
"Psychology as Philosophy" p. 231.

(٢) Davidson, Donald "Mental Events" p. 208. "Psychology as Philosophy" p. 231

المبدأ الثالث: يسميه (عدم خضوع ما هو عقلي لأية قوانين
(The Anomalism of the Mental

مفاده أنه لا وجود لأية قوانين حتمية يمكن على أساسها تفسير
والتنبؤ بالحوادث العقلية⁽¹⁾.

يبدو أن الفلاسفة - الذين يرى دافدسن أنهم وجدوا تناقضاً بين
المبدأين الأول والثاني من جانب والمبدأ الثالث من جانب آخر -
على حق ذلك لأننا إذا وضعنا هذه المبادئ في صورة قياس فإن
النتيجة اللازمة عن المقدمتين - المبدأين الأول والثاني - ستكون
عكس منطوق المبدأ الثالث أى عكس نتيجة دافدسن. من هنا كان
على دافدسن أن يوضح كيف يمكن التوفيق بين هذه المبادئ
الثلاثة أو كيف يمكن إثبات عكس النتيجة اللازمة عن المقدمتين.

لبيان ما نقوله نضع مبادئ دافدسن في صورة قياس
على النحو التالي:

هناك علاقات عليية بين بعض الحوادث العقلية والحوادث
الفيزيقية.

متى كانت هناك علاقات عليية بين بعض الحوادث العقلية
والحوادث الفيزيقية لزم أن تخضع لقوانين حتمية.

∴ الحوادث العقلية المرتبطة علياً بالحوادث الفيزيقية تخضع
لقوانين (نتيجة).

ولما كان منطوق المبدأ الثالث لدى دافدسن - عدم خضوع ما

(1) Davidson, Donald "Mental Events" p. 208.

هو عقلى لأية قوانين - عكس نتيجة القياس الذى وضعناه، كان على دافدسن أن يبين كيفية التوفيق بين هذه المبادئ الثلاثة وهو ما سنحاول بيانه الآن.

المبدأ الأول: مبدأ التفاعل العلى

مما سبق رأينا أن بين سائر الحوادث - وفقاً لدافدسن - علاقات عليّة، فهى تفتك كعلل ومعلولات لبعضها البعض - فالمعيار العلى لدى دافدسن هو معيار تفرد الحوادث أو هو ما يبرر فرديتها، كما أن تحديد هوية الحوادث يكون بالنظر إليها كعلل أو معلولات، والوصف العلى للأفعال - وفقاً لدافدسن - هو ما يقدم أكمل وصف لها.

إلا أن هذه العلاقة تمثل أهمية خاصة لدى دافدسن متى كانت هذه العلاقة علاقة قائمة بين حوادث فيزيقية وحوادث عقلية لا بين حوادث من نوع واحد، أى متى اختلف طرفا العلاقة فى النوع. تتبع هذه الأهمية من أن هذه العلاقة تمثل المبدأ الأول من مبادئ ثلاثة تمثل فى مجموعها نظريته الذاتية فى العلاقة بين الوجود الفيزيقي والوجود العلى.

هذا المبدأ - والذى مفاده أن هناك علاقات عليّة بين الحوادث العقلية على الأقل والحوادث الفيزيقيه - يأخذه دافدسن كإفتراض لا يبرهن عليه يراه واضحاً متمثلاً فى الإدراك الحسى والفعل الإنسانى اللذين يقدمان أوضح أمثلة للتفاعل العلى بين حوادث فيزيقية وحوادث عقلية⁽¹⁾.

(1) Ibid. p. 208.

وإذا كانت العلاقة العلية قد إتضحت لدينا - أثناء حديثنا عن تصور دافدسن للفعل الإنساني - فإن المثال الذى يقدمه دافدسن لبيان كيف يوضح الإدراك الحسى العلاقة العلية بين ما هو فيزيقى وما هو عقلى هو المثال التالى .

إذا أدرك شخص ما إدراكاً حسياً أن سفينة ما تقترب، فإن إقتراب السفينة هو علة إعتقاده أن السفينة تقترب (1) .

وإذا كانت العلاقة العلية بين بعض الحوادث العقلية والحوادث الفيزيقية علاقة واضحة - وفقاً لدافدسن - لا يبرهن عليها، فإنها تمثل له شرط البرهان على وجود هوية بين هذه الحوادث، أى البرهان على أن هذه الحوادث العقلية المرتبطة علماً بحوادث فيزيقية حوادث فيزيقية . وهذا ما دعاه للقول أنه إذا كانت هناك حوادث عقلية لا علاقة عليه بينها وبين أى حوادث فيزيقية، أى لا وجود لحوادث فيزيقية هى علة أو معلولات لها، فالبرهان لا ينسحب عليها (2) وإن كان دافدسن يرى أنه من الممكن تقديم براهين على أن سائر الحوادث العقلية ترتبط إرتباطاً علماً بالحوادث الفيزيقية وذلك ببيان أن الحوادث العقلية - المرتبطة علماً بحوادث فيزيقية - ترتبط علماً بحوادث عقلية أخرى، وهى البراهين التى لم يحدث أن قدمها دافدسن .

المبدأ الثانى: مبدأ الطبيعة النولوجية للعلاقة العلية

إذا كانت أهمية المبدأ السابق تكمن فى أنه يشكل نقطة بداية

(1) Ibid. p. 208.

(2) Ibid. p. 208.

برهان دافدسن في القول بالوحدية أو الذاتية، فإن أهمية هذا المبدأ تكمن في أنه يحقق لدافدسن ليس فقط هذه النتيجة ولكن أن الحوادث العقلية حوادث فيزيقية - كما سنرى؛ إذ أن الواحدية قد يتم تفسيرها بأن سائر الحوادث عقلية أو أنها من مادة أولى سابقة على الوجود الفيزيقي والوجود العقلي منها تكونت الحوادث من النوعين - كالواحدية المحايدة مثلاً - * . هذه النتيجة - الحوادث العقلية حوادث فيزيقية - ما كان من الممكن لدافدسن أن يؤسسها دون هذا المبدأ والذي يضعه - مثل المبدأ السابق - كإفترض لا يبرهن عليه⁽¹⁾ وهو ما يجعلنا نتساءل: إلى أي مدى يحقق مجرد إفترض هذا المبدأ لدافدسن هذه النتيجة.

معنى القانون

من الثابت أن كل قانون تعميم وليس كل تعميم قانوناً. يقر دافدسن أنه لا وجود لمعيار متفق عليه لما هو القانون، أو لمتى يكون التعميم قانوناً⁽²⁾. من هنا فإن دافدسن يركن - كما يقول كيم - للإستخدام الفلسفي المؤلف لتصوير القانون⁽³⁾.

* الواحدية المحايدة إتجاه تبناه فلاسفة متعددون في أواخر القرن التاسع عشر والعشرين مثل أرنست ماخ ووليم جيمس وبرتtrand رسل وألفرد جولس إير. إتجاه مفاده أن العقل والجسد تركيبات من عناصر محايدة سابقة عليهما. عناصر ليست في ذاتها فيزيقية أو عقلية.

Westphal. Jonathan "Philosophical Propositions op. cit. p. 124.

(1) Davidson. Donald "Mental Events" p. 208.

(2) Ibid. p. 217.

(3) Kim. Jaegwon "Psychophysical Laws" op. cit. p. 373.

يميز دافدن بين نوعين من التعميمات: التعميمات التي يطلق عليها القوانين الجادة serious أو القوانين بالمعنى الصارم strict laws وهي تلك التعميمات التي يتم صياغتها اعتماداً على تصورات من ميدان تصوري واحد⁽¹⁾ وباستخدام مفردات هذا الميدان⁽²⁾ ومن ثم فهو القانون الذي تؤكد به باستمرار الحالات الجزئية الموجبة المثلة له، كما يتأكد أيضاً بغياب الحالات المثلة للقضايا العامة المعبرة عن عكس الواقع والمساءم «القضايا المناقضة للواقع» * Counterfactual⁽³⁾. هذا التدعيم الإستقرائي بالحالات الجزئية الموجبة هي الخاصية التي تميز القانون عن غيرها من التعميمات الأخرى التي قد تصدق ولكنها لا ترقى إلى صفة

(1) Davidson. Donald "Mental Events" p. 223.

(2) Ibid. p. 219.

* القضايا المناقضة للواقع counterfactuals نمط خاص من أنماط القضايا الشرطية المألوفة في المنطق فالقضية الشرطية بصفة عامة (وتعرف أيضاً بالقضية الفرضية hypothetical أو قضية اللزوم implication) قضية مركبة من قضيتين بسيطتين مرتبطتين بإحدى أدوات الشرط.. أداة الشرط يتم التعبير عنها بصيغة رمزية حديثة على النحو التالي (أ ← ب) أو (ب ← أ) وهي تقرر لا أن المقدم صادق بالضرورة ولكن إذا كان صادقاً فإن التالي صادق أيضاً.

أما القضية المناقضة للواقع فصيغة تحول دون إمكانية تحديد شروط صدقها لكذب كل من المقدم والتالي واقعياً ويتم التعبير عنها رمزياً: أ ← ب أو أن نقول: «لو كان التفاح أزرق اللون لكان مستطيل الشكل». فالقانون «التفاح دائري الشكل يتأكد بظهور سائر قطع التفاح دائرية الشكل منلما يتأكد بعدم ظهور الحالات المثلة للقضية المناقضة للواقع». راجع في القضايا المناقضة للواقع البحث الذي كتبه د. صلاح عثمان (شجرة الكون وقضايا مناقضة الواقع عند ستورس مكال) أكتوبر ١٩٩٩. مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية.

(3) Davidson. Donald "Actions. Reasions and Causes" p. 16. "Mental Events" p. 217.

القانون⁽¹⁾. ذلك أن التدعيم الإستقرائي بالحالات الجزئية الموجبة الممثلة للقانون هي ما تمنحه صفة العمومية التي يتطلبها القانون⁽²⁾. كما يمكن أن يكتسب إمكانية التفسير العام والتنبؤ الدقيق داخل النسق الذي يعمل فيه إذا ما كانت التصورات التي يعتمد عليها تصورات لنسق كامل أو نظرية شاملة مغلقة على ذاتها comprehensive closed theory⁽³⁾. واعتماد القانون في صياغته على تصورات من نسق واحد هو ما يجعل لدينا معرفة قبلية - سابقة على التدعيم - بأى الحالات الموجبة هذه التي حضورها يدعم القانون أو يويده⁽⁴⁾.

هذه العبارة الأخيرة في حاجة إلى شرحها ذلك أنها ستخدم في تفسير لم يرفض دافدن وجود قوانين سيكوفيزيقية. ولكن لنرى أولاً النوع الثانى من التعميمات. النوع الثانى من التعميمات هي تلك التعميمات التي حالاتها تجعلنا نعتقد أن هناك قانوناً يقف خلفها ويفسرها ولكن لا يمكن صياغته إلا بالانتقال إلى مفردات من نوع آخر⁽⁵⁾. أى أنها قوانين ولكن ليس بالمعنى الدقيق.

فإذا عدنا إلى العبارة الأخيرة - التي رأى فيها دافدن أن

(1) Davidson. Donald "Actions, Reasons and Causes" p. 18.

(2) Davidson. Donald "Hempel on Explaining Action". p. 266.

(3) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 230. "Mental Events" p. 219.

(4) Davidson. Donald "Mental Events". p. 218.

(5) Ibid. p. 219.

العبارات التي تأخذ شكل قوانين nomological statements تستخدم تعبيرات عن خصائص نعرف بصورة قبليّة - سابقة على التدعيم - أي الموضوعات تلك التي تنطبق عليها هذه الخصائص - نجد أن دافدسن يشرحها باستخدام مفارقة التدعيم الشهيرة التي تعرف بمفارقة «الأخرق» grue، (اللفظ الذي يجمع بين الحرفين الأولين من كلمة أخضر green والحرفين الأخيرين من كلمة أزرق blue في كل من اللغتين) والتي صاغها نلسون جودمان - ووضع محاولة لحلها - والناجمة عن مناقشة موضوع أي الأمثلة الموجبة تلك التي يمكن أن تؤكد تعميماً ما ومن ثم تميزه كقانون عن غيره من التعميمات الأخرى.

يمكن شرح هذه المفارقة على النحو التالي:

نفترض أن كافة الزمردات التي تم معاينتها قبل زمن معين خضراء اللون. ففي ضوء مفهومنا الأصلي للتأكيد من خلال الأمثلة الموجبة، نقول أن ملاحظتنا في زمن ز تؤيد أو تؤكد الفرض «كل الزمردات خضراء». فقضايا الملاحظة التي تعبر عن أدلة تؤكد أن الزمردة أ خضراء، وأن الزمردة ب خضراء، الخ.... وكل واحدة من هذه القضايا تؤكد الفرض العام «كل الزمردات خضراء» وحتى الآن يسير كل شئ سيراً حسناً.

وعند هذه النقطة يدخل جودمان صفة جديدة هي «أخرق»، والتي تنطبق على كافة الأشياء التي تم معاينتها قبل زمن ز وكانت خضراء، والأشياء الأخرى إذا كانت زرقاء.

والآن لتأمل الفرضين التاليين:

ف١: كل الزمردات خضراء.

ف٢: كل الزمردات خرقاء.

لا بد أن يكون قد اتضح من كيفية طرح الصفة «أخرق» أنه في زمن ز تكون كل الدلائل التي تثبت ف١ هي أيضا دلائل تثبت ف٢ وبالعكس:

فكلا الفرضيين قد تأكد لأنه في زمن ز يكون للفرضيين نفس الأمثلة الموجبة ولكن هذا ينطوي على مفارقة. ففي المحل الأول، نلاحظ أننا اضطررنا إلى أن كلا الفرضيين مثبت بصورة متساوية ومع ذلك فإنهما ينطويان على تنبؤات متناقضة بشأن الزمردات التي يتم معاينتها فيما بعد. فكون جميع الزمردات التي تم فحصها حتى الآن كانت خضراء - وبالتالي خرقاء - يبدو أنه لا يؤيد على الإطلاق التنبؤ بأن الزمردة القادمة ستكون خرقاء رغم أنه يؤيد التنبؤ بأنها ستكون خضراء. ومن ناحية أخرى فإن صفة «الأخرق» صفة عشوائية تماما، وبالتالي فليس لدينا سبب للاعتقاد بأن الزمردات التي يتم معاينتها بعد زمن ز ستكون زرقاء أكثر مما لدينا للاعتقاد بأنها ستكون خضراء. فليس لدينا، إذا، سبب لتأكيد أن كل الزمردات خرقاء، أكثر مما لدينا لتأكيد أن كل الزمردات حمراء. والواقع أنه بإمكاننا تليفق أى عدد من الصفات المماثلة لـ «أخرق»، وكل تلك الصفات ستصدق على الزمردات بقدر ما تصدق عليها صفة خضراء، وذلك لأن التعميمات التي ترد فيها تلك الصفات تتأيد بنفس الأدلة تماما. فتلك الأدلة يمكنها أن تثبت أى حكم نود أن نصدره على الزمردات. هذه النتيجة - على حد

تعبير جودمان - لا يمكن تحملها ، إذ أنها تتناقض مع أفكارنا
الحدسية الخاصة بالاثبات أو التدعيم.

وإذا كان التمييز بين القضايا المشابهة للقانون والتعميمات
العرضية ، يقوم على أساس أن الأولى وحدها هي التي تتأكد عن
طريق أمثلتها الموجبة ، فانه لا قيمة لهذا المعيار في ضوء مفارقة
الأخرق ، فإذا كانت أية مجموعة من الملاحظات تؤكد أى تعميم
عشوائى ، فلن يكون هناك وسيلة للتمييز بين القضايا المشابهة
للقانون والقضايا غير المشابهة للقانون . فمن وجهة النظر الحدسية ،
لا يمكن اعتبار كل من ف١ ، ف٢ قضايا مشابهة للقانون . وهذا
ينطبق على ف١ على الأقل ولكن تحليلنا للإثبات عن طريق
الأمثلة الموجبة لا يسمح بالتمييز بينهما أو برفض أى منهما على
أنه مجرد تعميم عرضى . فكل الفرضيين مدعم ومثبت بأمثلة
موجبة، (1) .

بغض النظر عن الحل الذى وضعه جودمان لهذه المفارقة ، فإن
خلاصة الحل الذى يضعه دافدسن والذى يستند إليه فى تحديد
متى يكون التعميم قانوناً هو أن ،أخرق، ليس خاصية قابلة للتنبؤ
بالنسبة للزمردات . فالخصائص القابلة للتنبؤ هي الخصائص
الإستقرائية بالنسبة لموضوعاتها . فإن يكون شئ ما أخرقاً
grueness ، ليس خاصية إستقرائية للزمردات ولكنه خاصية
إستقرائية لكيانات أخرى مثل زمروت emirires ، (أى الكيان

(1) كارل لامبرت وجوردن بريتان ،مدخل إلى فلسفة العلوم، ترجمة شفيقة
بستكى . مراجعة د. فؤاد زكريا وكالة المطبوعات . الكويت . ص ٩٩ - ١٠١ .

المركب من الزمرد/دات emer/alds واليا/قوت sapph/ires) فالمحمولات (أخضر، أحمر، أزرق) محمولات جعلت لوصف الزهور roses والياقوت، والزمردات، وبينما المحمولات (أخمر gred، أزضر bleen) محمولات جعلت لكيانات مثل (زمور emeroses، زمروت emerires، ياقادات sapphalds). على هذا النحو تعبر القضايا، كل الزمردات خضراء،، كل الزهور* حمراء، عن قوانين مثلما تعبر القضية، كل الزمردات خضراء، "all emerires are gred" بالمثل عن قانون لأن المحمولات في كل قضية جعلت من البداية لكيانات الموصوفة بها. فمتى كان لدينا معرفة قبلية - سابقة على التدعيم - بالحالات الجزئية الممثلة للتعميم، كان هذا التعميم قانوناً (1).

* * *

ولكن كنا - وفقاً للمبدأ الأول - قد بينا أن هناك علاقات عليية بين الحوادث العقلية - أو بعضها على الأقل - والحوادث الفيزيقية. فهل يمكن أن تحكم هذه العلاقات قوانين جادة أو صادقة بهذا المعنى الذي حدده دافدن؟

وفقاً للمبدأ الثاني: نعم، يجب أن يكون هناك قوانين حتمية صادقة تخضع لها الحوادث العقلية المرتبطة علياً بحوادث فيزيقية. ولكننا عرفنا من نص المبدأ الثالث أنه لا وجود لقوانين سيكوفيزيقية أو قوانين نفسية تحكم الوجود العقلي. كيف يتفق ذلك

* لفظ roses يطلق فقط على الزهور حمراء اللون.

(1)-Davidson. Donald "Mental Events" p. 218.

إذا مع هذا المبدأ الثانى؟ أى نوع إذا هذه القوانين التى تحكم
الحوادث العقلية المرتبطة بصورة عليّة بحوادث فيزيقية؟

لننظر بداية إذا لتبرير دافدسن فى القول بعدم وجود قوانين
سيكوفيزيقية تحكم العلاقة بين الوجود العقلى والوجود الفيزيقي .
المبدأ الثالث: عدم خضوع ما هو عقلى لأية قوانين .

أ- رفض وجود قوانين سيكوفيزيقية

يستند دافدسن فى رفضه وجود قوانين سيكوفيزيقية إلى أمرين:

الأول: تصوره للقانون، لمتى يكون التعميم قانوناً.

فبالعودة إلى تصور دافدسن للقانون بضرورة أن تكون
الخصائص خصائص جعلت من البداية لكياناتها، فإن دافدسن
يرى أن المحمولات العقلية والمحمولات الفيزيقية لم تجعل من
البداية لوصف كل منها الآخر. من هنا كانت التعميمات
السيكوفيزيقية أقرب لدى دافدسن إلى التعميم «كل الزمرات
خرقاء، منها إلى التعميم «كل الزمرات خضراء، ومن ثم ليس لها
خاصية القانون⁽¹⁾، ولكنها تنتمى إلى التعميمات من النوع الثانى .

الثانى: تصوره لكل من نسق الوجود الفيزيقي والوجود
العقلى .

وفقاً لدافدسن يشكل كل من الميدان الفيزيقي والميدان العقلى
نسقاً تصورياً كلياً تختلف فيه تصورات كل ميدان والمبادئ التى

(1) Ibid. p. 218.

تحكم إنطباق التصورات. إن إلزام كل ميدان في تفسير ظواهره بتصويراته ومبادئه الخاصة وإستحالة تفسير ظواهر أحد الميدانين بالإعتماد على تصورات ومبادئ الميدان الآخر - يجعل من المستحيل وجود قوانين سيكوفيزيقية تفسر أى إرتباط قائم بين حوادث فيزيقية وحوادث عقلية أى إستحالة وجود قوانين بإمكانها نقل شروط إنطباق التصورات السيكلوجية إلى التصورات الفيزيقية⁽¹⁾. وهو تصور دافدسن للقوانين السيكوفيزيقية.

والى تفصيل القول.

إذا بدأنا بالنسق الفيزيقى، فإن دافدسن يضرب أمثلة لتصورات مثل الكتلة والطول والحجم والحرارة والزمن، ومجموعة من المبادئ التى تحكم قياس هذه التصورات وتجعلها ممكنة فى الوقت نفسه مثل مبادئ التعدى transitivity واللانمائل asymmetry (أطول من - أكثر ثقلاً من - أكثر دفناً من - متأخراً عن ... الخ). هذه المبادئ مبادئ تنظيمية regulative⁽²⁾ من حيث أنها ما تحدد التطبيق الصحيح للتصور من عدمه. هذه المبادئ - يراها دافدسن - مبادئ تركيبية قبلية⁽³⁾. فهى قبلية، من حيث أننا لا نختبرها عند تطبيق تصوراتنا على حالات فردية ولكننا نختبر صحة انطباق التصورات على حالات فردية بالرجوع إليها.

أما أنها تركيبية، فذلك فقط لأن دافدسن لا يعتقد أن هناك ما

(1) McLaughlin, Brian "Anomalous Monism and the Irreducibility of the Mental" op. cit. p. 357.

(2) Davidson, Donald. "The Material Mind" p. 254.

(3) Davidson, Donald "Mental Events". p. 221.

يسمى قضايا تحليلية، فهو يصرح أنه لا يفهم معنى أن تكون قضية صادقة صدقاً ضرورياً أو تحليلية، أو صادقة بالرجوع إلى معنى مكوناتها⁽¹⁾. هذا الميدان أو النسق الفيزيقي يراه دافدسن كلى الطابع holistic. يقول: «ان وجود قانون في العلم الفيزيقي يعتمد على وجود القوانين الأخرى المكونة - أو المبادئ القبليّة التركيبية - مثل قانون قياس الطول»⁽²⁾. أى أن وجود القوانين القبليّة التركيبية التي تشكل تصورنا للميدان الفيزيقي هو ما يجعل من الممكن صياغة قوانين فيزيقية أخرى⁽³⁾. فصيغة قانون فيزيقي يعتمد على القوانين الأخرى الموجودة بالفعل وهي خاصية الإعتماد المتبادل interdependance التي يتصف بها النسق الفيزيقي⁽⁴⁾.

فإذا إنتقلنا للميدان العقلي فلن نجد إختلافا سوى في المبادئ ذاتها التي تحكم إنطباق التصورات في كل النسقين وهو ما يمكن أن يتضح من بيان كيف يتم - من وجهة نظر دافدسن - تفسير الحوادث العقلية أو النفسية - كعمليات الإدراك والتذكر والحصول على المعرفة وفقدانها والأفعال المقصودة - أو الوصول إلى نظريات بشأنها.

يرى دافدسن أننا في تفسيرنا لسلوك ما - سلوك لفظي أو فعلي

-
- (1) McLaughlin, Brian "Anomalous Monism and the Irreducibility of the Mental" op. cit. p. 354.
 - (2) Davidson, Donald "Mental Events" p. 221.
 - (3) Kim, Jaegwon "Psychophysical Laws" op. cit p. 377.
 - (4) Ibid. p. 377.

- أى لفعل ما قام به شخص معين، فإننا لا يمكن أن نفسر كل سلوك أو كل فعل بإرجاعه إلى إعتقاد واحد أو رغبة معينة لدى صاحبه. إذ ما الدليل الذى لدينا أن هذا الإعتقاد أو هذه الرغبة هى التى أدت بالشخص إلى التصرف الذى قام به؟ الشرط الوحيد الذى لدينا فى إرجاعنا سلوكه لهذا الإعتقاد المحدد أو تلك الرغبة بعينها والذى يقرينا من صدق التفسير هو إتساق هذا الإعتقاد مع سائر إعتقاداته ورغباته ونواياه ومخاوفه وتوقعاته التى نعرفها عنه. أى أن نفسر سلوكه بإرجاعه إلى إعتقاد معين أو رغبة محددة إستناداً إلى نسق الإعتقادات والرغبات التى نعرفها عن الشخص نفسه. ما لم نراع هذا الإتساق بين إعتقادات ورغبات وسائر المواقف القضائية للأشخاص كل على حده فى تفسيرنا لأفعال ومواقف هؤلاء الأشخاص، لن يكون بإمكاننا تفسير أفعالهم كأفعال صادرة عن أشخاص عاقلة(1).

إذ من المفترض أن يكون هناك إتساق فى المواقف القضائية للأشخاص العاقلة. هذان العنصران - الإتساق والعقلانية - هما المبدآن المعياريان اللذان يتم على أساسهما تفسير السلوك والمواقف القضائية - أى الحوادث العقلية(2).

ولكن هل يمكن أن يكون هناك تفسير واحد نجمع عليه لإعتقاد أو رغبة محددة تفسر سلوكاً ما لشخص ما؟ لن يكون هذا ممكناً إلا

(1) Davidson. Donald "Mental Events" p. 221.
"Psychology as Philosophy" p. 230.

(2) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 231/
237/ 241.

متى إستطعنا حصر سائر إعتقادات ورغبات الشخص المراد تفسير سلوكه بحيث يظهر إتساق إعتقاده المراد تفسيره مع هذه الإعتقادات والرغبات الأخرى. وهو ما يرى دافدسن أنه غير ممكن⁽¹⁾. وهو ما يعنى إذا - وفقاً له - عدم وجود أساس موضوعى وفقاً له نتحقق من صدق التفسيرات المختلفة أو نتنبأ على أساسه⁽²⁾، وهو السبب فى عدم إمكانية تحويل تفسيراتنا فى ميدان الحوادث العقلية إلى قوانين علمية بالمعنى الدقيق⁽³⁾، إذ سيظل من الممكن تقديم تفسيرات متعددة لا تشترك معنا سوى فى عنصرى الإتساق والعقلانية اللذين يجب أن يتصف بهما النسق الكلى للحوادث العقلية الخاصة بشخص ما.

مما سبق نجد أن كلا النسقين كلى الطابع؛ فكما تعتمد صياغة قانون فيزيقى على القوانين الأخرى الموجودة بالفعل فى الميدان الفيزيقى، لا يمكن أن ننسب لشخص إعتقاداً لا يتسق مع مجموعة إعتقاداته الأخرى التى نعرفها عنه. كما أن لكلا النسقين مبادئ تحكم إنطباق التصورات وتوجه التفسير ومن ثم فهى معيارية - كمبادئ التحويل فى الميدان الفيزيقى ومبدأى الاتساق والعقلانية فى الميدان العلقى. هذه المبادئ مبادئ تركيبية قبلية فى النسقين. أين يكمن الإختلاف إذا؟

يكمن الإختلاف - كما يقول Mclaughlin - فى المبادئ ذاتها، فهى تشكل سبب الإختلاف المقولى بين النسقين وسبب

(1) Davidson. Donald "Mental Events" p. 223.

(2) Ibid. p. 222.

(3) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 233.

عدم إمكانية وجود قوانين سيكوفيزيكية تصل النسقين ببعضهما،⁽¹⁾ أي تفسر علاقة الارتباط بين الحوادث من النوعين. وهو ما عبر عنه دافدسن بقوله، وأن شرطى الإتساق والعقلانية - اللذين يتم على أساسهما تفسير الظواهر العقلية لا وجود لما يقابلهما فى عالم الفيزياء have no counterpart in the world of physics⁽²⁾ ولا يتم تطبيق التصورات فى النظرية الفيزيكية وفقاً لهما، ومن ثم فهما يفسران لم لا يمكن أن نتوقع أكثر من تعميمات سيكوفيزيكية - وليس قوانين - تفسر أى إرتباطات أو علاقات تصاحب بين الظواهر الفيزيكية والظواهر العقلية⁽³⁾.

ب- عدم وجود قوانين سيكلوجية.

كنا قد رأينا أن القوانين بالمعنى الدقيق - وفقاً لدافدسن - هى تلك القوانين التى يتم صياغتها إعتماًداً على تصورات من ميدان تصورى واحد تصل فيه هذه القوانين - إعتماًداً على هذه التصورات - إلى درجة من الدقة والشمولية. لهذه القوانين - وفقاً لدافدسن - وجود فقط فى العلوم الفيزيكية. فالنظرية الفيزيكية هى ما يعد بتقديم نسق شامل يضمن تقديم وصف متفرد لكل حادثة فيزيكية⁽⁴⁾.

لا يمكن للتصورات العقلية أن تقدم لنا إطاراً كهذا وذلك ببساطة

(1) McLaughlin, Brian "Anomalous Monism and the Irreducibility of the Mental" p. 353.

(2) Davidson, Donald "Psychology as Philosophy" p. 230.

(3) Davidson, Donald "Mental Events" p. 218, 219. "Psychology as Philosophy" p. 231.

(4) Davidson, Donald "Mental Events" p. 223.

لأنها لا تمثل نسقاً شاملاً مغلقاً، ذلك أن هنالك الكثير مما يؤثر على ما هو عقلي دون أن يشكل في ذاته جزءاً من نسق الوجود العقلي وهو ما يعنى عدم امكانية صياغة قوانين سيكلوجية - بالمعنى الدقيق - لتفسير والتنبؤ بالظواهر العقلية .

فإذا كان الأمر كذلك، وكنا قد إنتهينا مع دافدسن إلى أنه لا وجود لقوانين سيكوفيزيكية أو أن أى تعميم سيكوفيزيقي ليس قانوناً بالمعنى الدقيق لإختلاف المبادئ التى يتم وفقاً لها التفسير فى كل ميدان، فإن دافدسن يخلص هنا بالنتيجة أنه لا وجود على الإطلاق لقوانين بالمعنى الدقيق يمكن على أساسها تفسير والتنبؤ بالظواهر العقلية⁽¹⁾ . وهو المبدأ الثالث الذى أسماه دافدسن مبدأ "عدم خضوع ما هو عقلي لقوانين "Anomalism of the Mental"

إنطلاقاً من هذا التفسير يصل دافدسن إلى البرهان على هوية الحوادث العقلية والفيزيكية، وهو البرهان الذى سيبين بدوره مدى إتفاق المبدأ الثانى - الطبيعة النومولوجية للعلاقة العلية - مع هذا المبدأ الثالث:

يبرهن دافدسن على هوية الحوادث على النحو التالى:

لنفترض أن حادثة عقلية (ع)، سببت حادثة فيزيكية (ف)، . بوصف ما يمكن بيان خضوعهما لقانون يحكم العلاقة بينهما، وذلك بالرجوع إلى المبدأ الثانى - مبدأ الطبيعة النومولوجية

(1) Ibid. p. 223.

للعلاقة العلية - الذى مفاده أنه متى كانت هناك علاقة عليّة بين حادثتين لزم أن يكون هناك قانون يحكمها، قانون تمثل هذه العلاقة الفردية إحدى حالاته. لن يكون هذا القانون سوى قانون فيزيقى من حيث عدم وجود قوانين فى ميدان ما هو عقلى. ولكن إذا كانت الحادثة - ع- تندرج تحت قانون فيزيقى، فإن هذا يعنى أن لها وصفاً فيزيقياً، وهو ما يعنى - وفقاً لداقدسن - أنها حادثة فيزيقية. وبالعكس، لافترض أن حادثة فيزيقية (ف)، سببت حادثة عقلية (ع). مرة أخرى ستخضع هاتان الحادثتان لقانون فيزيقى مما يعنى أن للحادثة العقلية وصفاً فيزيقياً - أى أنها حادثة فيزيقية - وهكذا تصبح كل حادثة عقلية ترتبط علياً بحادثة فيزيقية حادثة فيزيقية وهو ما يعنى بالنسبة لداقدسن هوية الحوادث (1).

على هذا النحو يرى داقدسن أنه حقق الواحدية غير الخاضعة لقوانين anomalous monism وهو ما يعنى وفقاً له أنها لم تأت نتيجة رد التصورات السيكلوجية إلى تصورات فيزيقية بقوانين. فلقد بين أن شروط إنطباق التصورات العقلية شروط لا يمكن التعبير عنها تعبيراً فيزيقياً وأنها من ثم ما يمنع صياغة قوانين سيكوفيزيقية بإمكانها نقل شروط إنطباق التصورات السيكلوجية إلى التصورات الفيزيقية - وهو تصوره للقوانين السيكوفيزيقية - . فالميدان العقلى ميدان مستقل يتم فيه تفسير الحوادث العقلية بربطها بحوادث عقلية أخرى وفقاً لشروط من الميدان العقلى نفسه. إلا أن هذا لا يعنى أن هناك قوانين سيكلوجية خالصة يمكن

(1) Ibid. p. 224.

الوصول إليها - وفقاً لها يمكن تفسير الحوادث العقلية والتنبؤ بها وذلك لدخول الحوادث العقلية في علاقة تأثير وتأثر بالحوادث الفيزيائية وهو ما عناه دافدسن بأن النسق العقلي نسق غير مغلق على ذاته .

فإذا كان الملمحان المميزان للميدان العقلي هو عدم الخضوع لأية قوانين والإرتباط العلى بين حوادثه والحوادث الفيزيائية، وكانت العلاقات العلية تحكمها بالضرورة قوانين، ولم تكن هناك قوانين بالمعنى الدقيق سوى للقوانين الفيزيائية، كانت الحوادث العقلية التي ترتبط علماً بحوادث فيزيائية هي الأخرى حوادث فيزيائية لإمكانية وصفها وصفاً يدرجها تحت هذه القوانين ومن ثم هوية الحوادث أو الواحدة غير الخاضعة لقوانين .

٥ - موقف دافدسن من علم النفس

أن تستقل الحوادث العقلية عن الخضوع فى ذاتها لقوانين، وأن يكون الملمح الرئيسى للعلم هو الوصول إلى قوانين تفسر وتنتبأ بظواهره، لم يكن علم النفس - وفقاً لدافدسن - علماً بالمعنى الدقيق للعلم لعدم إمكانيته استخدام المناهج نفسها - أورده - للعلوم الفيزيقية الأكثر دقة، (1).

ولما كان الباحث يأمل أن يكون قد أوضح ما عناه دافدسن باستقلال ميدان علم النفس عن الخضوع لقوانين وهو العلم الذى حدده دافدسن بأنه «دراسة الفعل الإنسانى والدوافع والرغبات والإعتقادات والتذكر والتعلم - بالقدر الذى ترتبط فيه هذه الموضوعات - على الأقل - بما يسمى (المواقف القضائية)»، (2)، فإن الباحث يريد فى هذه الفقرة أن يحدد - إنطلاقاً من عبارات دافدسن نفسها - على وجه الدقة موقف دافدسن من علم النفس.

يتلخص موقف دافدسن فى هذه العبارة التى ذكرناها آنفاً - أو التى ذكرها دافدسن - وهى أن علم النفس لا يمكن رده للعلوم الفيزيقية بمعنى عدم إمكانية رد التصورات السيكلوجية - فى تفسير العمليات الإدراكية - إلى تصورات فيزيقية، أو التعبير عن الأولى بمفردات وحدود فيزيقية، وإن «مثلت العلوم الفيزيقية نقطة إنطلاق علم النفس» (3) أو «كان هناك ما يستفيد علم النفس تحديداً من علم الأحياء وعلوم الأعصاب neurosciences»، (4).

(1) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 240.

(2) Ibid. p. 240.

(3) Ibid. p. 241.

(4) Davidson. Donald "The Material Mind" p. 247.

والى تفصيل القول .

يتخيل دافدسن - فى محاولته البرهان على عدم إمكانية رد علم النفس إلى العلوم الفيزيائية - أننا قد أصبحنا نعرف عن المخ والجهاز العصبى أكثر مما نعرف الآن، وأصبحنا نفهم ما يدور تماماً داخل المخ البشرى بحيث يمكننا أن نقدم بالتفصيل الدقيق وصفاً فيزيائياً لكل صغيرة وكبيرة تحدث داخله وأنه أمكن رد كل العمليات الكهربائية والكيميائية والعصبية إلى علم الفيزياء⁽¹⁾ .

يرى دافدسن مع هذا أن سائر هذه المعارف الفيزيائية لن يستفيد منها علم النفس إلا بما هو أقل من المتوقع طالما أنه العلم الذى يدرس الظواهر التى تعبر عنها التصورات مثل النية - الاعتقاد - التذكر - الإدراك - التعلم⁽²⁾ .

ما يعنيه دافدسن أنه مهما تطورت هذه العلوم بحيث استطعنا صنع إنسان آلى لا يمكن تمييزه فى خارجه أو فى داخله عن الإنسان، ذلك أنه يأتى فى ردود أفعاله تجاه البيئة بحركات لا تختلف عن الحركات التى سيقوم بها الشخص العادى، لن نستطيع مع ذلك الإدعاء بأننا نجحنا فى إيجاد هوية بين الإعتقادات والرغبات والنوايا والآمال وبين الحالات التى تحدث داخل المخ أو بينها وبين الآليات التى تعمل داخل المخ طالما ظلت الحوادث والحالات العقلية كالتفكير والإعتقاد والإدراك والنوايا تصورات رئيسية بالنسبة لدراسة علم النفس⁽³⁾ .

(1) Ibid, p. 245.

(2) Ibid, p. 246.

(3) Ibid, p. 247. 248.

لماذا؟

لنتصور - كما يقول دافدسن - أننا كلما قمنا بغز هذا الإنسان الآلي بإبرة أو بدبوس فإنه يقفز، أو يتأوه أو تظهر على ملامحه علامات التأوه تماماً مثل إستجابات الشخص العادي. هنا فإن لدينا وصفاً فيزيقياً لليلة (غز الدبوس) ووصفاً سيكولوجياً للمعلول (حركة الجسم كالقفز - التأوه - أو تعبير الألم على الوجه). وكما رأينا، فإن الحوادث التي ترتبط ببعضها بعلاقة العلة والمعلول يجب أن تكون محكومة بقانون. ألا يعنى هذا أن سائر الحوادث السيكولوجية حوادث من الممكن التنبؤ بها بدقة؟ لم ننكر إذاً فى صنعنا لهذا الإنسان الآلى أننا إستطعنا رد علم النفس إلى علم الفيزياء وأننا بذلك قد قمنا بحل سائر المشكلات الخاصة بعلم النفس⁽¹⁾.

يرى دافدسن أن كل ما يمكن قوله أنه متى إرتبطت حوادث فيزيقية بحوادث سيكولوجية بعلاقة عليية وكان يلزم عن العلاقات العلية بين الحوادث وجود قوانين تربط هذه الحوادث ولم تكن هذه القوانين سوى قوانين فيزيقية أمكننا صنع الإنسان الآلى وفقاً لها، فإنه يلزم بالضرورة أن الحوادث السيكولوجية حوادث فيزيقية، دون أن يعنى هذا امكانية التنبؤ بها بالطريقة نفسها التي يمكن بها التنبؤ بالحوادث الفيزيقية أو إمكانية ردها إلى حوادث فيزيقية وذلك لأننا لا يمكن أن نستغنى عن التصورات العقلية والمبادئ التي تحكمها فى تفسير الحوادث العقلية ولا عن الطريقة التي نفسر بها أى حادثة أو عملية عقلية،

(1) Ibid. p. 248.

واختلاف هذه الطريقة هو ما يجعل الوصول إلى قوانين سيكوفيزيقية غير ممكن .

لتوضيح ذلك يضرب دافدسن مثالاً باللغة التي يرى أننا لا يمكننا أن نميز بين الاعتقادات والرغبات والأفكار والمخاوف والنوايا والاستدلالات دون هذه البنية المعقدة المسماة اللغة التي لا تلعب دور التمييز بين هذه الملامح السيكلوجية فقط ولكن التي بدونها لا يمكن فهم هذه التصورات(1) .

القدرة اللغوية للشخص - إذا ما وصفناها وصفاً سيكلوجياً - فإنها ميل مركب . أما إذا وضعناها فيزيقياً فإنها حالة فعلية وليست ميلاً .

هل يمكن بمعرفة الآلية الفيزيقية للشخص أن نفسر قدرته اللغوية ؟

لاشك أن لكل شخص حالة فيزييقية تتمركز في المخ تشكل مقدرته اللغوية . ولكن كيف نحددها ؟ كيف نحدد ليس فقط مكانها ولكن نصف كيف تعمل ؟ كيف نعرف هذه الآلية التي تعال السلوك اللغوي لشخص ما ؟ أى ما يقوله وما يعنيه بقوله ؟

نعم يمكن معرفة أن هناك آلية فيزييقية معينة هي آلية الكلام لشخص ما وذلك متى تحدث - أو بملاحظة سلوكه في مناسبات مختلفة، ولكن هذا لن يوصلنا إلى ما نريده وهو تفسير الارتباط بين السلوك اللغوي وما تقوم به هذه الآلية تفسيراً يأخذ شكل

(1) Ibid. p. 255.

القانون. نريد أن نعرف ما هي الخاصية الفيزيائية للآلة التي تجعلها تتحدث كما لو كانت شخصاً أي الخاصية التي تنتج السلوك اللفظي (1).

يفترض دافدسن أن الإنسان الآلي يستخدم الكلمات على النحو الذي يستخدمها به بسبب الطريقة التي تعمل بها الآلية الخاصة به. ولكن هل يمكن أن نحدد التضائقات الفيزيائية *physical correlates* للمعنى؟ أي أن نكتشف فيزيائياً ما لا يمكن سوى أن نستنتجه (ألا وهو المعنى) طالما إرتكنا لملاحظة السلوك اللفظي؟ (2).

قد يمكننا ذلك بملاحظة أنماط المناظر والأصوات والروائح التي تجعله ينطق عبارة ما كقوله «هذه سمكة قرش»، إذا ما سئل «ما هذا؟».

ولكن هل ندعى عندئذ أننا عرفنا ما عناه بهذه العبارة؟

لنتصور أنه في مرة أخرى رأى جسماً صغيراً ومع ذلك قال «هذه سمكة قرش». كيف نعرف ما جعله يقول هذا؟ لن نعرف ذلك - وفقاً لدافدسن - إلا إذا عرفنا ما جعله يعتقد أنها سمكة قرش رغم صغر حجم ما رآه. فقد يكون يعتقد أنه ينظر من الجهة الأخرى للتلسكوب وأن هذا هو ما جعلها تبدو صغيرة، أو أنه ينظر من خلال عدسة مكبرة ولكن من الجهة الأخرى.

(1) Ibid. p. 256.

(2) Ibid. p. 257.

يريد دافدسن أن يقول أننا لن نعرف عما يعنيه الإنسان الآلى بأكثر ولا بأقل مما نعرفه عن الشخص العادى،⁽¹⁾ أى أن السبيل لمحاولة معرفة ما يعنيه هو إستنتاجنا لما يعتقدده، إذ أن إعتقاداته هى ما تجعله ينطق بما يعنيه، ولكن إعتقاداته نستنتجها مما يقوله، هذا يعنى - وفقاً لدافدسن - أن السبيل إلى تفسير المعنى يكون بوضع نظرية واحدة نحاول الوصول فيها إلى تفسير المعانى والإعتقادات معاً فى وقت واحد وليس السبيل هو إيجاد هوية بين جزء من مخ الإنسان الإلى ومعايير استخدام الكلمة⁽²⁾. المعرفة الفيزيقية أو الفسيولوجية للمخ لن تقدم لنا تفسيراً للتصورات السيكلوجية كالإعتقادات والنوايا والمعانى، إذ أن تفسير ما يعنيه الإنسان الآلى إنطلاقاً فقط مما يقوله تشكل الصعوبة نفسها التى تقابل محاولة تفسير معنى كلمات الشخص العادى⁽³⁾.

يرى دافدسن أننا فى تفسيرنا للإنسان الآلى وللشخص العادى على حد سواء، لن يكون أمامنا سوى تفسير النسق الكلى للسلوك الملاحظ - أى محاولة الوصول إلى الإعتقادات والمعانى كل فى ضوء الآخر أو بالإعتماد المتبادل على الآخر حيث معايير قبولنا للتفسير معايير واحدة وهى أن نسمح فى تفسيرنا بقدر ما من الخطأ المعقول وأن نفترض أن هناك إتساقاً بين سائر إعتقادات وأقوال

(1) Ibid. p. 258.

(2) للباحث كتاب بعنوان «فلسفة اللغة عند دونالد دافدسن، شرح فيه بالتفصيل نظرية دافدسن فى الإعتماد المتبادل بين الاعتقاد والمعنى. منشأة المعارف. 2(XX) الصفحات 58 وما بعدها.

(3) Davidson. "The Material Mind" p. 258.

الشخص أو الإنسان الآلى وأن نفترض إعتقادات ومعان من نفس
إنطلاقاً من إعتقاداتنا ومعانينا كأساس ننتقل منه ونفسر إعتقاداً
عليه إختلاف التفسيرات⁽¹⁾.

ولما كان تفسير التصورات السيكولوجية يتم على النحو الذى
بيناه، رأى دافدسن فى ذلك مبرراً كافياً لعدم امكانية التعبير عن
المبادئ التى يتم الإعتقاد عليها فى تفسير هذه التصورات أو
طريقة التفسير بمفردات فيزيقية، ومن ثم رفضه قبول رد علم
النفس إلى العلوم الفيزيقية⁽²⁾ وهو ما عناه بإستقلال علم النفس أو
بأنه ليس علماً كالعلوم الأخرى⁽³⁾ دون أن يعنى بذلك هجوماً
على علم النفس بصفة عامة أو على أحقيته فى أن يكون علماً..
تفسيراته وتنبؤاته أقل دقة من تفسيرات وتنبؤات العلوم
الأخرى⁽⁴⁾.

(1) Ibid. p. 258. 259.

(2) Ibid. p. 259.

(3) Davidson. Donald "Psychology as Philosophy" p. 230.

(4) Ibid. p. 240

نتائج البحث

بإنتهاء البحث يكون الباحث قد أجاب على التساؤلات التي وضعها في المقدمة ألا وهي بيان ما عناه دأقدسن بأن الحوادث العقلية حوادث فيزيقية ومن ثم هوية الحوادث دون أن تكون هناك قوانين تحكم هذه الحوادث العقلية في ذاتها. وبين الباحث أن السبب في ذلك من وجهة نظر دأقدسن أن الميدان العقلي ميدان لا تحكمه قوانين بالمعنى الدقيق والذي حدده دأقدسن بأنها القوانين التي تفسر وتتنبأ بالظواهر وذلك لأن الميدان العقلي ميدان ليس مغلقاً على ذاته ومن ثم فالقوانين قوانين فيزيقية. كذلك بين الباحث ما عناه دأقدسن باستقلال علم النفس أو اختلافه عن العلوم الفيزيقية الأخرى.

الآن جاء دور التقييم.

١- إلى أي مدى استطاع دأقدسن تبرير نظريته في هوية الحوادث ومن ثم تبرير اتجاهه الواحدى؟

النتيجة الرئيسية التي توصل إليها الباحث مفادها أن نظرية دأقدسن في مجملها قائمة على إفتراضات وضعها دأقدسن دون تبرير، وضعها بطريقة لكي تخدمه أو لكي توصله إلى النتائج التي يريد، مما يجعلنا نتساءل: إلى أي مدى يمكن قبول نتائج أو نظرية قائمة على فروض غير مبررة.

والى تفصيل القول.

إذا بدأنا بتصوير دأقدسن للحوادث بأنها حوادث فردية وجزئية

فإننا نجد أن هذا التصور إفتراض وضعه دافدسن دون أن يحاول تبريره . كل ما قاله أن هذا الإفتراض يحقق له مطلبه ألا وهو تقديم نظرية لها ما يبررها cogent في الفعل الإنساني والتفسير والعلاقة بين ما هو عقلي وما هو فيزيقي ؛ فلتقديم مثل هذه النظرية التي تفسر سائر هذه الجوانب، نحن في حاجة إلى امكانية وصف الأفعال والحوادث بأكثر من طريقة وهو ما لا يتحقق إلا بإفتراض أن الحوادث جزئية وفردية .

فإذا انتقلنا إلى ما أسماه دافدسن بمبدأ التفاعل العلي - وهو المبدأ الأول من المبادئ الثلاثة التي تشكل في مجموعها برهان دافدسن على هوية الحوادث أو إتجاهه الواحدى - والذي مفاده أن هناك علاقات عليه بين بعض الحوادث العقلية على الأقل والحوادث الفيزيقية - فلقد رأينا أن دافدسن يقرر صراحة أنه يضعه كإفتراض لا يبرهن عليه لأنه يراه واضحا متمثلا في الإدراك الحسى والفعل الإنساني اللذين يقدمان أوضح أمثله له .

أما التصور الثالث الذى يضعه دافدسن كإفتراض لا يحاول تبريره فهو المبدأ الثانى والذى أسماه مبدأ الطبيعة النومولوجية للعلاقة العلية والذى مفاده أن الحوادث التي تقف كعلل ومعلولات لبعضها البعض تخضع لقوانين حتمية دقيقة .

من هنا فان الباحث يرى أن الأساس الذى بنى عليه دافدسن نظريته فى هوية الحوادث - ومن ثم إتجاهه الواحدى - أساس واه :
أ- ذلك أن هذا الأساس يكمن فى شرطين : الشرط الأول دخول الحوادث العقلية المراد بيان أنها حوادث فيزيقية - ومن ثم القول

بهوية الحوادث - فى علاقة عليه مع حوادث فيزيقية، بمعنى أنه لا يمكن بيان أن الحوادث العقلية - التى لا ترتبط ارتباطاً علياً بحوادث فيزيقية - حوادث فيزيقية. فإذا أضفنا إلى أن هذا الشرط وضعه دأقدسن دون تبرير - ومن ثم فهو لا يبرر بصورة قوية هوية الحوادث - أنه يقصر هوية الحوادث فقط على الحوادث العقلية المرتبطة علياً بحوادث فيزيقية، فإن الباحث لا يدري كيف يمكن القول بهوية أو ذاتية لقدر من الحوادث العقلية دون أخرى، بل لحوادث بعيدها فى وقت دون آخر؟ وإلى أى مدى يمكن اعتبار ذلك موثقاً فلسفياً.

ب- حتى ولو سلمنا بهذه الهوية التى تنطبق فقط على قدر من الحوادث - أو قبلنا مبرراتها - فإن الأساس الذى تقوم عليه هذه الهوية ألا وهو المبدأ الثانى - مبدأ الطبيعة الفومولوجية للعلاقة العلية - مبدأ وضعه دأقدسن كما قلنا كافتراض لم يحاول تبريره. إلى أى مدى يمكن قبول نظرية أو إتجاه يتأسس على فرض غير مبرر؟*

ج- من جانب آخر يرى دأقدسن أن تفسير الحالات العقلية

* قال أفلاطون منذ زمن سحيق فى محاورة الجمهورية، على حين أن مراحل البداية فى الاستدلال الرياضى هو محض فروض، فإن الجدل يطلب لنفسه بداية غير فرضية. وقال كانط فى كتابه «نقد العقل الخالص»: «كل شئ له طبيعة الفروض فهو شئ محظور علينا أن نتعامل معه». الاقتباسات من: ر.ج. كولنجود «مقال فى المنهج الفلسفى، ترجمة فاطمة اسماعيل. مراجعة أمام عبد الفتاح. المشروع القومى للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة. 2(X)1 ص 254.

يحدث داخل النسق العقلي وبالاعتماد على التصورات السيكلوجية والمبادئ التي تحكمها وأنه لا مناص في تفسير الحوادث العقلية من الإعتدال على هذه التصورات والمبادئ، وأن هذا هو ما يمنع الوصول في ميدان علم النفس إلى قوانين دقيقة، أي قوانين تفسر وتقتبأ، بحيث أنه متى تم وصف هذه الظواهر ذاتها وصفا فيزيقياً فإنه من الممكن تفسيرها والتنبؤ بها⁽¹⁾،

هنا يثور التساؤل :

ولكن لم نعط الحوادث العقلية وصفاً فيزيقياً بل وما فائدة إعطائها وصفاً فيزيقياً وتفسيرها لا يمكن أن يتم سوى بالإعتدال على التصورات السيكلوجية والمبادئ التي تحكم الميدان العقلي؟ وهو ما يعنى أن الوصف العقلي للحوادث العقلية هو الوصف الجوهري لها بينما وصفها فيزيقياً وصف ثانوي لها؟

كيف تتأسس الهوية إذا على الوصف الثانوي للحوادث العقلية، أى الوصف الذى تكتسبه فقط متى دخلت فى علاقة عليه بحوادث فيزيقية وكانت هذه العلاقة تحكمها قوانين فيزيقية؟

د- القانون الذى يحكم الحادثة العقلية المرتبطة عالياً بحادثة فيزيقية لا يحكم الحادثة العقلية فى ذاتها ولا تندرج فى ذاتها تحته ولكنه يحكم العلاقة العلية التى تربطها بالحادثة الفيزيقية. من هنا فإنه حتى وإن وافقنا دافدسن على أن هذا القانون قانون فيزيقى من حيث أنه لا وجود لقوانين بالمعنى الدقيق سوى للقوانين

(1) Davidson. D. "Psychology as philosophy" p. 230.

الفيزيقية، فإن خضوع الحوادث - المرتبطة علماً - له لا يجعل من الحادثة العقلية حادثة فيزيقية، حتى وإن نتج عن ذلك وصف الحادث العقلية وصفاً فيزيقياً. ومن ثم مرة أخرى ضعف تبرير هوية الحوادث.

٢- ما حقيقة موقف دافدسن من علم النفس؟

رأينا أن دافدسن يذهب أحياناً إلى أن علم النفس علماً تفسيراته وتنبؤاته لا تقل عن تفسيرات وتنبؤات العلوم الأخرى⁽¹⁾ وأحياناً يراه علماً ولكن ليس كالعلوم الأخرى،⁽²⁾ بمعنى أنه مستقل عنها لإختلاف طبيعة التفسير داخله والمبادئ والتصورات المستخدمة في التفسير.

هنا يتساءل الباحث: ما طبيعة هذا العلم؟

بأى معنى هو علم وهو لا ينتج قوانين علمية؟

يقول جفري فوس Jeffrey Foss أن العلم بدون قوانين علمية لا يمكن التفكير فيه،⁽³⁾ قد نتخيل دافدسن يرد بقوله أن علم النفس ينتج قوانين ولكنها قوانين فردية - أى خاصة بكل فرد -⁽⁴⁾ تختلف في طبيعتها عن القوانين في ميدان الفيزياء وأن طبيعة التفسير في علم النفس هي التي تفرض هذا النوع من القوانين. من هنا جاء استقلال بل وإختلاف علم النفس عن العلوم الأخرى.

(1) Davidson. D. "Psychology as philosophy" p. 240.

(2) Ibid. p. 230.

(3) Foss. Jeffrey "Consciousness in Science". The Journal of Philosophy, vol. XCII No. 8 August 1995. p. 415.

(4) Davidson. D. "Hempel on Explaining Action" p. 274.

ولكن الباحث سيرد ويقول: ولكن بأى معنى هو علم وهو يسمح بتفسيرات متعددة لكل حالة مفردة وذلك فى تفسيرنا لسلوك كل شخص مثلاً؟ عندئذ لن تكون هناك حتى هذه القوانين الفردية التى تنطبق على كل فرد، بل ستتعدد التفسيرات بتعدد المفسرين دون أن يكون هناك أساس موضوعى ثابت يتم الإحتكام إليه فى الحكم على هذه التفسيرات.

يقول دافدسن: القوانين لغة أو صياغة لفهم وتفسير الواقع. فإذا لم تكن هناك قوانين سيكوفيزيقية أو قوانين سيكلوجية فذلك لأنه لا يمكن صياغة هذه القوانين طالما إلترزم علم النفس بتصوراتهِ ومبادئهِ. فالعجز يكمن فىنا وليس فى الطبيعة. العيب يكمن فى علم النفس وليس فى طبيعة الوجود.

سيقول الباحث: ولم لا تحاول إصلاحه؟

سيقول دافدسن: لا يمكن إصلاحه. فعدم وجود قوانين دقيقة، أو عدم القدرة على تقديم تفسير دقيق لظاهرة عقلية جزء من طبيعة علم النفس لا يمكن تغييرها.

سيقول الباحث: ولم تصر إذا على وصفه بأنه علم؟

هنا سنجد ألكسندر روزنبرج A. Rosenberg يفسر لنا ذلك بقوله أن رفض دافدسن الإنتماء إلى أتباع فثجتشتين الجدد The new- Wittgensteinians - الذين إنتقلوا من القول بإستحالة وجود روابط عليه بين الأفعال وأسبابها إلى القول بإستحالة العلم الإجتماعى (ذلك النسق ذى القوانين العامة التى تفسر وتتنبأ بالأفعال بإخصاها لقوانين) - إن رفض دافدسن الإنتماء إلى هذه

الحركة التي ظهرت في الخمسينات والتسينات من القرن العشرين هو ما جعله ينكر أن علم النفس ليس علماً، ولكنه في الحقيقة بتصوره لعلم النفس على أنه دراسة الحالات العقلية القصدية والأفعال المقصودة لذاتها لم يجعله يشترك مع العلوم الأخرى سوى في الإسم فقط⁽¹⁾.

وعلى كل فإن دونالد داقدسن - إلى جانب كل من جيرى فودر ودان دينيت - يرى أن لعلم النفس مكانة مستقلة عن تيار العلم الطبيعي، ومن ثم فهو يقف في ذلك مع زملائه في مواجهة التيار الذي يمثله كل من كواين وياتريشيا تشيرشلاوند وكليف هوكر وبول تشيرشلاوند والذي يصر على ضرورة التزام علم النفس بكل مل تلتمزم به العلوم الأخرى⁽²⁾.

من الواضح أن داقدسن من الذين يرفضون التصور الوضعي للعلم أى تصور وحدة العلم وهو ما إتضح لنا جلياً من رفضه رد علم النفس إلى الفيزياء وهو سبيل الوضعيين لتحقيق وحدة العلم. ولكن هل وحدة العلم تكمن دائماً في عملية رد؟ ألا يمكن لوحدة العلم أن تكمن في التبادل المعرفي بين العلوم وهو ما يراه فوس Foss⁽³⁾.

(1) Rosenberg, Alexander "Davidson's Unintended Attack on Psychology" in "Actions and Events" p[. cit p. 407.

(2) Churchland, Paul "A Neurocomputational Perspective. The Nature of Mind and the Structure of Science" (Cambridge, MIT 1989) p. XII.

(3) Foss, Jeffry "Consciousness in Science" op. cit p. 415.

ألا يمكن أن يكون دافدسن من أتباع هذا التصور الأخير لوحدة العلم لاسيما أنه لا ينكر إستفادة علم النفس من العلوم الأخرى بل ويقر ذلك؟

ولكننا عندئذ سنسأل: ولكن إلى أى مدى يستفيد علم النفس - وفقاً لدافدسن - من العلوم الأخرى إذا كان يصر على أن مبادئ علم النفس وتصوراته لا يمكن لعلم النفس الإستغناء عنها فهى ما تحكم التفسير؟ ما الذى يستفیده تحديداً علم النفس من هذه العلوم؟
لم يوضح لنا دافدسن ذلك.

وعلى كل .

أياً كانت النتائج التى يمكن أن نقبلها من دافدسن وتلك التى نختلف فيها معه، فإن ذلك يبين بجلاء أن مشكلة العلاقة بين النفس والجسد - أو الميدان العقلى والميدان الفيزيقي - من المشكلات الفلسفية الأساسية التى كانت موضوع اهتمام بالغ عند الفلاسفة الأقدمين وظلت كذلك عند كثير من الفلاسفة المسيحيين والإسلاميين والفلاسفة المحدثين. وما زالت حية عند كثير من الفلاسفة المعاصرين،⁽¹⁾ وربما كان اختلاف القول بشأنها هو ما جعل فيلسوفاً مثل نيقولاى هارتمان يراها من المشكلات الميتافيزيقية التى تستعصى - بحكم طبيعتها - على الحل⁽²⁾.

وإذا كان الباحث لا يتفق مع هارتمان - أو مع غيره من الذين

(1) محمود زيدان «فى النفس والجسد، مرجع سابق ص 17.

(2) بهاء درويش «فلسفة نيقولاى هارتمان النظرية، منشأة المعارف (1996) ص 89.

يضعون أحكاماً قطعية يغلغون بها باب البحث في بعض
الموضوعات - فإن ما قصده بالإستشهاد بهارتمان هو التذليل -
الذى يحاول بيانه في كل مناسبة تعن له - على أن الميتافيزيقا -
كميدان بحث - وجدت لكي تبقى وأن التطورات العلمية لم تحل -
ولا أقول لن تحل - المشكلات الميتافيزيقية بقدر ما وسعت من
دائرتها وبرهنت على أصالتها.
ولكن هذا حديث آخر.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1- Davidson, Donald "Essays on Actions and Events"
Clarendon Press. Oxford 1980

جمع دافدسن سائر المقالات التي عرض فيها فلسفته في العقل في هذا الكتاب، لذا سنكتفي أثناء البحث - في الهامش - بكتابة إسم دافدسن واسم المقالة دون بيانات الكتاب وذلك بخلاف المرجع التالي.

2- _____ "Reply to Quine on Events" in
"Actions and Events" ed. by Ernest Lepore and
Brian P. McLaughlin. Basil Blackwell. 1985.

ثانياً: المراجع العربية مؤلفة و مترجمة

- ١- ارنست ماير «هذا هو علم البيولوجيا» . دراسة فى ماهية الحياة والأحياء، ترجمة: د. عفيفى محمود عفيفى . سلسلة عالم المعرفة . يناير 2002 .
- ٢- بهاء درويش «فلسفة نيقولاى هارتمان النظرية، منشأة المعرفة . 1996 .
- ٣- بهاء درويش «فلسفة اللغة عند دونالد داقدسن» . منشأة المعارف . عام 2000 .
- ٤- سهام النويهي «نظرية المنهج العلمى، دار البيان . 1995 .
- ٥- صلاح عثمان «شجرة الكون وقضايا مناقضة الواقع عند ستورس مكال» . مجلة بحوث كلية الآداب جامعة المنوفية . أكتوبر 1999 .
- ٦- كارل بوبر «الحياة بأسرها حلول لمشاكل» ، ترجمة بهاء درويش . منشأة المعارف الاسكندرية . 1998
- ٧- كارل لامبرت وجوردن بريان - «مدخل إلى فلسفة العلوم» ، ترجمة د شفيقة بستكى مراجعة د فزاد ركريا . وكالة المطبوعات الكويت . بدون تاريخ
- ٨- كولنجوود «مقال فى المنهج الفلسفى» ، ترجمة فاطمة اسماعيل . مراجعة أمام عبد الفتاح المشروع القومى للترجمة . المجلس الأعلى للثقافة . 2001
- ٩- محمود ريدان «فى النفس والجسد» ، دار الجامعات المصرية . بدون تاريخ .

المراجع الأجنبية

- 1- Ayer. A.J. "Philosophy in the Twentieth Century"
Unwin Paperbacks 1984.
- 2- Black. Ned (et al) eds. "The Nature of
Consciousness". Philosophical Debates "MIT press
Cambridge. Massachusetta. 1998.
- 3- Chappell. V.C. ed. "The Philosophy of Mind"
Dover Publications. Inc. New York 1st published
1981.
- 4- Churchland. Paul "A Neurocomputational
Perspective. The Nature of Mind and the Structure
of Science" Cambridge. MIT Press. 1989.
- 5- Evnine. Simon "Donald Davidson" Policy Press.
1991.
- 6- Hempel. Carl. "Aspects of Scientific Explanation
And Other Essays in the Philosophy of Science"
The Free Press. New York. Collier-Macmillan
imited. London 1965.
- 7- Kim. Jaegwon "Psychophysical Laws" in "Actions
and Events".
- 8- Martinich. A.P. "The Philosophy of Language".
Oxford University Press. 3rd edition. 1996.

9. McLaughlin, Brian "Anomalous Monism and the Irreducibility of the Mental" in "Actions and Events"
- 10- Passmore "A Hundred years of Philosophy". Pelican Books Repinted 1972.
- 11- Place, U. T "Is Consciousness a Brain Process" in "The Philosophy of Mind" ed. by Chappell, V.C.
- 12- Quine, W V "Events and Reification" in "Actions and Events" Perspectives on the philosophy of Donald Davidson" ed. by Ernest Lepore and Brian P. McLaughlin. Basil Blackwell. 1985.
- 13- Rosenberg, Alexander. "Davidson's Unintended Attack on Psychology" pp. 399- 407 in "Actions and Events perspectives on the philosophy of Donald Davidson" ed. by Ernest Lepore and Brian P. McLaughlin. Basil Blackwell 1985
- 14- Smart, J.J.C "Sensations and Brain Processes" in "The Philosophy of Mind" ed. by Chappell, V.C
- 15- Westphal, Jonathan "Philosophical Propositions. An Introduction to Philosophy". Routledge London and New York. 1st published 1998
- 16- Ziff Paul "About Behaviorism in "The Philosophy of Mind" ed. by Chappell, V.c. Dover Publications, Inc. New York. 1st published 1981

ثبت بأهم المصطلحات الواردة في هذا البحث

A

action	فعل
analytic	تحليلي
anomalism of the mental	عدم خضوع ما هو عقلي لقانون
apriori	قبلي
argument	حجة
asymmetry	لا تماثل
	إذا كانت (س) أسبق من (ص)، فإن (ص) يجب ألا تكون أسبق من (س).

B

behavior	سلوك
behaviorism	النظرية (الفرعة) السلوكية
belief	إعتقاد
brain	مخ

C

causal interaction	تفاعل على
cause	علة
consciousness	تأييد - تدعيم

correlation ترابط - تعالق

counterfactuals قضايا شرطية مناقضة للواقع

D

deductive- nomological explanation التفسير النومولوجي الاستنباطي

desire رغبة

disposition ميل

E

effect معلول

entity كيان

events حوادث

explanation تفسير

extensional ما صدقي

G

generalisation تعميم

H

holism الاتجاه الكلي

human action, فعل إنساني

hypothetical proposition قضية فرضية

I

identity	ذاتية - هوية
isentity theory	النظرية الذاتية
implication	علاقة اللزوم
individual	فردى
intentional	قصدى - مقصود

L

Law	قانون
Logical positivism	الوضعية المنطقية

M

mental events	حوادث عقلية
mental terms	مفردات أو حدود عقلية
mind	عقل
monism	الواحدية
motive	دافع

N

neutral monism	الواحدية المحايدة
nominalists	دعاة النزعة الإسمية

nomological character : الطبيعة النومولوجية للعلاقة العلية:
of causality أى القول أن أى علاقة عليية بين
حادثتين تخضع بالضرورة لقانون
يفسرهما.

P

Particular	جزئى
Phenomena	ظواهر
Phenomenological Fallacy	المغالطة الظاهرية
Physical events	حوادث فيزيقية
Primary reasons	أسباب أولية
Proposition	قضية
Propositional attitudes	مواقف قضائية
Psychological Law	قانون سيكولوجى
Psychophysical Law	قانون سيكوفيزيقي

R

rationality	عقلانية
reason	سبب
reduction	رد

S

sensatoin

إحساس

synthetic

تركيبی

T

transitivity

تعدی

إذا كانت (س) تسبق (ص)، وكانت (ص) تسبق (ی) فان (س) يجب أن تسبق (ی).

شركة الجلال للطباعة

اول شارع السفن - العامرية
كيلو ٣٢ طريق اسكندرية - القاهرة الصحراوى
ت ٠١٢ / ٢٩٧٩٢٩٨٠

 Bibliotheca Alexandrina



0410949

44/1538